

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

يناير ٢٠٠٧ ـ العدد ٢٥٧

الحجاب: قناعة أم قناع؟

انتفاضة يناير 77 بعد ثلاثين عاما

كشاف أدب ونقد ٢٠٠٦

«الأغنية»: ديوان مجهول للشاعر حسين عفيف

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

تأسست عام١٩٨٤ /السنة الثالثة والعشرون

العدد ٢٥٨ ديسمبر ٢٠٠٧



تصميم الغلاف
أحمد السجينى

إخـراج فنـــى
عـزة عـز الديـن

مراجعة لغوية
أبو السعود على

لوحـــة الغلاف الأمامـــى والخلفى للفنان:
محمد عبلة

الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالى/ مجلة (أدب ونقد): داخل مصر ٥٠ جنيها
البلاد العربية ٥٠ دولارا/ أوروبا وأمريكا ٧٥ دولاراً
شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدى أو البريد الإلكترونى:
adabwanaq d @yahoo-com
موقع (أدب ونقد) على الانترنت:
adabwanaq d .4t.com

المراسلات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب/ الاهالى
القاهرة/ هاتف ٥٧٩١٦٢٨/٢٩ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المحتويات



افتتاحية

صحبة فريدة النقاش

صحبة فريدة النقاش لأيامٍ قليلةٍ متعةٌ بالغة، فما بالك لو صاحبتها لمدة عشرين عاماً؟.

كان هذا هو حظى الجميل. فمن منتصف عام ١٩٩٧ أرسلت إليها ورقة أسألها إمكانية ان اعمل فى «أدب ونقد» – وكانت مديرة التحرير آنئذ – إذا كان ذلك متاحاً. وبعد أيام قليلة، وصلتنى استجابتها المرحبة، وصرت منذ تلك اللحظة واحداً من أسرة «أدب ونقد».

كنا فى النصف الأول من السبعينيات، أثناء حركتنا الطلابية الشهيرة، نعرف اسم فريدة النقاش، كواحدة من المثقفات التقدميات المناضلات ، فى قلب الحركة الوطنية الديمقراطية المصرية المعاصرة. وكنا نعرف أنها واحدة من كبار المؤيدين فى الحركة الثقافية للحركة الطلابية الشابة. وكنا نقرأ نقدها الفكرى والأدبى، الملتزم والمتفتح فى آن، ونعجب لنصاعة رؤيتها وصلابة موقفها معاً. وكان بعضنا قد تعاون، لماماً، مع «أدب ونقد» و«الأهالى»، من خلالها هى وحسين عبد الرازق وصلاح عيسى وأمينة النقاش، أى «عصابة الأربعة» المباركة، التى منحت «الأهالى» مرحلتها المتوهجة.

لكن العمل معها، مباشرة، سيرة أخرى. فقد وجدتُ- إلى جانب الرؤية الناصعة والصلابةِ الرفيعة – وجداناً حاراً وقلباً فطناً وسريرةً نقية. ليزداد عجبك: كيف يجتمع الالتزام الحازم والراديكالية العميقة مع نقاء السريرة وطراوة القلب؟.

هذان العقدان – مع فريدة النقاش – كانا درساً طويلاً ممتداً، ولايزال: درس المصداقية وحب العمل واحترام الآخرين.

وبتولى فريدة النقاش مسئولية «الأهالى» حيث يأمل الجميع ان تنهض الجريدة معها نهضة مضيئة مرتقبة تكون قد صعبت علينا إدارة العمل فى وليدتنا الأثيرة «أدب ونقد». لكننا سنحاول الا نخيب أملها فينا، مستهدين بروحها الحارة



وفطرتها السليمة.

ولكى ننجح فى أن نكون عند حسن ظن فريدة النقاش وحسن ظن الأمانة العامة لحزب التجمع فينا، فنحن محتاجون - كما كنا دائماً وكما سنظل - إلى جهود كل مثقفى الحركة الثقافية الديمقراطية المصرية والعربية، وإلى مساندة كل الأقلام المبدعة الجادة - مصرياً وعربياً- من كل الأجيال النابضة ومن كل المدارس المستنيرة، لكى تظل «أدب ونقد» ، كما سعت دوماً، منبراً للثقافة الوطنية الديمقراطية، الساعية إلى الحرية والعدل والجمال، تلك الأقانيم الثلاثة التى يحلم بها الشعب المصرى والعربى، ويحلم بها الإنسان فى كل زمان ومكان.

سنفتقد جلسة فريدة النقاش فى غرفتنا الصغيرة الفقيرة، لكننا سنطرق عليها بابها فى «الأهالى» كل لحظة، بسبب ومن غير سبب.

أما «أدب ونقد»، فهى وديعة فريدة النقاش عندنا، الوديعة التى سنرعاها بالعقل والقلب والعمل، من أجل صاحبة الوديعة، ومن أجلنا، ومن أجل الكثيرين الذين يعقدون على هذه المطبوعة البسيطة بعض الأمل.

السنا - كما قال سعد الله ونوس: محكومين بالأمل.

حلمى سالم



ثلاثون عاماً على انتفاضة يناير ١٩٧٧

المظاهرات السلمية تتحول إلى العنف

حسين عبد الرازق

كتب «عبد الرحمن الجبرتي» في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» يصف ثورة القاهرة ضد الفرنسيين قائلا:

«وفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى، عملوا الديوان واحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار فجعلوا على الأعلى ثمانية فرانسه والأوسط ستة والأدنى ثلاثة.. ولما أشيع ذلك بين الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك.. فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم، ولا قائد يقودهم، وأصبحوا يوم الأحد متحزبين، وعلى الجهاد عازمين، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح، وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية، وزعر الحارات البرانية، ولهم صياح عظيم وهول جسيم، ويقولون بصياح في الكلام: نصر الله دين الإسلام.

فذهبوا إلى بيت قاضى العسكر، وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر، فخاف القاضي العاقبة، وأغلق ابوابه وأوقف حجابه، فرجموه بالحجارة والطوب، وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب. وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر. وفي ذلك الوقت حضر (دبوى) بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه، فمر بشارع الغورية، وعطف على خط الصنادقية، وذهب إلى بيت القاضي فوجد ذلك الزحام. وخرج من بين القصرين وباب الزهومة، وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة، فبادروا إليه وضربوه وأثخنوا جراحاته، وقتل الكثير من فرسانه، وأبطاله وشجعانه.

فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم، وخرجوا يهرعون، ومن كل حدب ينسلون، ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة.. وهدموا مصاطب الحوانيت، وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة، لتعوق هجوم العدو في وقت المعركة، ووقف دون كل متراس،

جمع عظيم من الناس».

هذه الصورة من ثورة القاهرة الأولى، نموذج لانتفاضات المصريين عندما يفيض بهم الكيل ويضيق بهم الحال. وهى صورة تكررت كثيرا عبر تاريخ الشعب المصرى الصبور.

وفى ١٨ يناير ١٩٧٧، كان المسرح مهيئا لأحداث مشابهة فاجأت الحكومة الناس ومجلس الشعب بقرارات رفع الأسعار. وبدأ تطبيق الزيادة الجديدة يوم ١٧ مساء، وقبل أن ينتهى الوزراء من إلقاء بياناتهم أمام مجلس الشعب. نام الناس ليلة ١٨ يناير وأغلبهم ما بين مصدق ومكذب. وجاءت صحف الصباح بالخبر اليقين أشعلت حكومة ممدوح سالم النار فى الهشيم. وانطلقت موجات الغضب فى كل مصر.

كانت البداية من حلوان. بين عمال القطاع العام، قوة الخلق الجديدة التى ولدت مع ثورة يوليو (الناصرية) وقرارات التحول الاجتماعى عام ١٩٦١، وطرح الاشتراكية كهدف للمجتمع المصرى.

يقول تقرير اللواء أحمد رشدى مدير أمن القاهرة، والمرفوع للسيد المستشار إبراهيم القليوبى (النائب العام) بتاريخ أول فبراير ١٩٧٧.

«بدأت أحداث الشغب بمدينة القاهرة صباح يوم الثلاثاء ١٨ يناير ١٩٧٧ فى حوال الساعة ٨,٣٠ صباحا، بخروج عمال شركة مصر. حلوان للغزل والنسيج بتحريض العاملين بالشركة، فى مظاهرات أخذت تطوف بمنطقة حلوان مرددة هتافات عدائية ضد سياسة الحكومة وقرارات رفع الأسعار والقيادة السياسية. ونجح المتظاهرون فى إخراج بعض عمال المصانع الأخرى الكائنة بالمنطقة..).

وتضيف جريدة الأهرام الحكومية «وتصدت لهم قوات الأمن المركزى عند طره حيث أوقفتها.. وتوقفت وسائل المواصلات بين حلوان والقاهرة، بسبب قطع الحجارة الضخمة التى تناثرت على الطريق».

ويواصل مدير أمن القاهرة وصفه للأحداث فى تقريره للنائب العام فيقول:

«تم عزل منطقة حلوان عن باقى أنحاء المدينة. ولكن أمكن لبعض المتظاهرين التسلل إلى وسط المدينة. وفى حوالى الساعة ١,٣٠ بدأت مظاهرة من كلية الهندسة جامعة عين شمس قوامها حوالى ٣٠٠ طالب من الدارسين بتلك الجامعة. وأخذت مسارها من شارع الجيش متجهة إلى مجلس الشعب. وانضم إليهم عدد من العمال الذين تمكنوا من التسلل من منطقة حلوان. وبلغ عدد المتظاهرين أمام مجلس الشعب فى الساعة ٤,٣٠ مساء، حوالى ٢٠٠ يرددون الهتافات العدائية السابقة الإشارة إليها..».

ويضيف الأهرام «حاولت قوات الأمن المركزى تفريقهم فرفضوا، فاستخدمت القنابل

المسيلة للدموع، إلا ان المتظاهرين عادوا للتجمع فى ميدان التحرير ومنه إلى شارع سليمان، حيث احدثوا تلفيات بواجهات بعض المحلات التجارية.

واتجهت مظاهرة أخرى إلى ميدان العتبة.. وجرت محاولة إشعال النار فى مبنى قسم الشرطة بالموسكى، وقسم السيدة زينب والدرب الأحمر. ومحاولة اقتحام مبنى مديرية امن القاهرة بباب الخلق. وقذف قسم الساحل بشبرا بالحجارة وأطلقت النار،

وتقول روزاليوسف ،فى مجلس الشعب كان الدكتور على السيد وكيل المجلس موجودا عندما وصلت مظاهرة ضخمة من الطلبة: طلب مقابلة وفد منها ومناقشته. اختار الطلبة عشرين ممثلا لهم. سمح بدخولهم وبينما هم فى الداخل حدث اشتباك بين المتظاهرين وقوات الأمن المركزى..

وفى ميدان عرابى وطلعت حرب رفع المتظاهرون علم مصر. وناقشوا رجال الأمن المركزى حول الأسعار، لكسبهم إلى صف المظاهرة،

كانت هتافات المتظاهرين تدور حول سياسة الحكومة المعادية للجماهير الشعبية ويطالبون باستقالتها..

- مش كفاية لبسنا الخيش
  جايين ياخدوا رغيف العيش
- يا حكومة الوسط وهز الوسط
  كيلو اللحمة بقى بالقسط
- يا حرامية الانفتاح
  الشعب جعان.. مش مرتاح
- يشربوا ويسكى وياكلوا فراخ
  والشعب من الجوع أهو داخ
- الصهيونى فوق ترابى
  والمباحث على بابى
- يا أمريكا لمى فلوسك
  بكره الشعب العربى يدوسك
- احنا الطلبة مع العمال
  ضد تحالف رأس المال
- احنا الشعب مع العمال
  ضد حكومة الاستغلال

• عبد الناصر ياما قال
خلوا بالكو من العمال
• بالطول بالعرض
حنجيب ممدوح الأرض
• سيد مرعى.. ده يبقى مين
يبقى حرامى الفلاحين
• لم كلابك يا ممدوح
دم إخواننا .. مش حيروح
• يا أهالينا.. يا أهالينا
آدى مطالبنا.. وأدى أمانينا
أول مطلب يا شباب
حق تعدد الأحزاب
تانى مطلب يا جماهير
حق النشر والتعبير
تالت مطلب يا أحرار
ربط الأجر بالأسعار
• يا حاكمنا من عابدين
باسم الحق وباسم الدين
فين الحق وفين الدين؟
• هو بيلبس آخر موضة
واحنا بنسكن عشرة فى أوضه
• يا حاكمنا بالمباحث
كل الشعب بظلمك حاسس
• قولوا للنايم فى عابدين
العمال بيباتوا جعانين

ظلت المظاهرات حتى مساء ذلك اليوم (١٨ يناير) سلمية.. ولكن فجأة وفى حوالى السابعة مساء وبعد الصدام المتكرر مع قوات الأمن المركزى، اتجهت الحوادث فى بعض المواقع إلى العنف والتخريب.

يقول تقرير اللواء أحمد رشدى فى وصفه لتطور المظاهرة المتجمعة أمام مجلس الشعب:

،تصدت لهم قوات الأمن المركزى وأمكن تفريقهم.. إلا انهم تفرقوا فى مظاهرات فرعية تسللت إلى صفوفها شراذم من الغوغاء وضعاف النفوس والمخربين، أخذت كل منها تجوب منطقة وسط المدينة، حيث قام بعض المتظاهرين باتلاف العديد من المنشآت العامة والخاصة ووسائل المواصلات العامة والنقل والسيارات الخاصة، وإقسام الشرطة وسياراتها، وبعض المحلات التجارية الخاصة والعامة والفنادق، كما اشعلوا النيران فى بعض المبانى والمؤسسات الصحفية..،

وتقدم روزاليوسف وصف شاهد عيان لما حدث فى ميدان العتبة الخضراء:

،كان الطلبة يحيطون مظاهراتهم بنطاق من الحبال حتى لا ينضم إليهم أحد من خارجهم. وفجأة أطلق أحد أمناء الشرطة عياراً نارياً. وفى الهرج الذى أحدثه إطلاق العيار اختفى السياج واقتحمت مجموعات التخريب التى بدأت تظهر بعد السابعة مسلحة بالأجنات والكيروسين وكرات القطن، مبنى قسم الموسكى.،

وفى الوقت نفسه تقريبا وطبقا لتقرير السيد مدير أمن الجيزة ،عبرت مجموعات من المواطنين كوبرى التحرير قادمة من القاهرة إلى ميدان كوبرى الجلاء بالجيزة، وقدر عددها بحوالى ١٥٠ شخصا تقريبا. وتبين أنهم كانوا يشتركون فى مظاهرة بميدان التحرير بالقاهرة. وقام هؤلاء بقذف الحجارة على فندق شيراتون. وفى حوالى الساعة ٨,٣٠ مساء خرج بعض الطلبة المقيمين بالمدينة الجامعية بشارع احمد عرابى بإمبابة، وتجمع حولهم بعض المارة والأهالى بالمنطقة بميدان الكيت كات، وأخذوا فى قذف السيارات المارة والموجودة بالميدان بالحجارة.. وقذفوا مكتب بريد إمبابة بشارع السودان. ووضع بعضهم بعض مواسير المجارى التى كانت موضوعة باستطالة الجزيرة الوسطى بشارع ترعة الساحل بعرض الطريق لإعاقة المرور. وتم تصدى قوات الأمن لهذه التجمعات والسيطرة على الحالة حوالى الساعة الواحدة صباح يوم ١٩ يناير. وضبط شخصان من المتظاهرين.،

وفى الإسكندرية وطبقا لبيان النائب العام، وبيان وزارة الداخلية.. اجتاحت مدينة الإسكندرية منذ حوالى التاسعة صباح يوم ١٨ يناير مظاهرات بدأت بعمال شركة الترسانة البحرية. وانضم إليهم عمال الشركات المجاورة. واتخذت هذه المظاهرة طريقها إلى داخل المدينة. متجهة إلى مقر الاتحاد الاشتراكى بالمنشية، لمناقشة قرار رفع الأسعار، ويردد أفرادها الهتافات المثيرة ويعتدون على قوات الشرطة والأمن بالحجارة. واخذوا

يطوفون بشوارع المدينة، ثم توجهوا إلى منطقة الكليات الجامعية، حيث انضم إليهم عدد من الطلبة.

وتقول الأهرام «أصيب خلال هذه المظاهرات بالإسكندرية ١٣٢ بالأعيرة النارية وتم اقتحام نقاط البوليس، وحرق سينما أوديون، ومبنى الشركة العربية للشحن والتفريغ، ومبنى الاتحاد الاشتراكى، ومجمع الخضر والفاكهة بشارع إبراهيم الشريف. وتحطيم واجهات عدد من المحلات التجارية، ونهب الأمتعة والفضيات والأثاث الخاص باستراحة السيد نائب رئيس الجمهورية.

فى صباح يوم ١٩ يناير اكدت وزارة الداخلية أن الأمور عادت لطبيعتها وأنها وضعت يدها على القوى المحركة لهذه الأحداث.. «وتأكد لأجهزة الأمن أن العناصر الشيوعية التى تعمل فى إطار شيوعى منظم، وبعض العناصر من الذين يسمون أنفسهم بالناصريين تصر على تصعيد الموقف وإحداث حالة من الفوضى لتنفيذ مخططها».

سبق هذا البيان محضر حرره العقيد منير محسن بإدارة مباحث أمن الدولة فرع القاهرة فى الساعة الواحدة فجر يوم ١٩، قال فيه:

«بالنسبة لأحداث الشغب والمظاهرات التى حدثت بالمدينة صباح أمس ١٨ الجارى ثبت من التحريات والمعلومات المتوفرة لدى الفرع أن المتزعمين والمحركين لتلك الأحداث من العناصر الماركسية ومدعى الناصرية».

وأورد قائمة من ٤٤ شخصا، تضم أسماء عدد من الطلاب الناصريين والماركسيين، بكليات الهندسة والتربية والحقوق بجامعة عين شمس، وبعض الخريجين من هذه الجامعة المعروفين باتجاههم الناصرى «أحمد الجمال، حمدى ياسين، وأربعين صحفيين هم «صلاح عيسى وحسين عبد الرازق وفيليب جلاب ويوسف صبرى، وعدد من العمال والموظفين.

حصل العقيد منير محيسن فى الساعة ٣,٤٥ على إذن تليفونى(١) بالقبض على أصحاب هذه الأسماء من رئيس نيابة أمن الدولة.

وبدأ زوار الفجر فى تنفيذ إذن القبض الشفوى. وأثناء التنفيذ قرروا أن يضيفوا من عندهم أسماء أخرى مثل «محمد سلماوى الصحفى بالأهرام، ومحمد عواد وفاطمة السعدنى من قيادات منظمة الشباب بالقاهرة، وسيد غريب».

والغريب انه لم يقبض على اى من هؤلاء أثناء الأحداث، او قدم عند طلب القبض عليهم اى دليل على تواجدهم خلالها فى أماكن الأحداث.

وتلقت نيابة أمن الدولة فى الساعة الرابعة فجر نفس اليوم محضر تحريات جديد من

العقيد أمين أسماعيل بمباحث أمن الدولة، يشمل أسماء (٦٠) شخصا أغلبهم من طلاب الجامعات يتهمهم بالانضمام إلى منظمة سرية تحمل اسم حزب العمال الشيوعى. فصدر الإذن بالقبض عليهم وتفتيشهم. وتم القبض بالفعل على ١٨ شخصا منهم.

ومرة أخرى لم يكن أى منهم ضمن الذين قبض عليهم فى المظاهرات.

هكذا قبضت مباحث أمن الدولة ونيابتها على من أسمتهم بالمتزعمين والمحركين لأحداث ١٨ يناير، وعلى قيادات ما سمى حزب العمال الشيوعى.. واستراحت.

اكتفت الدولة بهذا التفسير البوليسى للأحداث. وبالقبض على عدد من المعارضين لسياساتها، وبإغلاق المدارس والجامعات، وتجاهلت السبب الحقيقى والمباشر للأحداث.

وجاء بيان وزارة الداخلية ليستفز المواطنين العاديين الذين عبروا عن رفضهم لقرارات ١٧ يناير. فإذا بالحكومة تصنفهم ما بين شيوعى أو مدعى ناصرية، وتتجاهل تماما مطالبهم. وتسايرها صحفها الثلاث التى خرجت يوم ١٩ بعناوين مثيرة مثل «الشيوعيون وحزب اليسار وراء عمليات التخريب»، وتنشر جريدة الأخبار برقية حزب التجمع إلى تشكيلاته فى المحافظات على طريقة «لا تقربوا الصلاة..»

وكان حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى، هو القوة السياسية الوحيدة التى حددت موقفا من هذه القرارات صباح يوم ١٨ يناير . فأرسلت لجنة المتابعة بسكرتارية الحزب العامة برقية عن طريق جهاز التلكس الخاص بالاتحاد الاشتراكى العربى تقول:

«من حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى.. إلى مقررى المحافظات ومسئولى العمل الجماهيرى (جميع المحافظات) بمناسبة عرض الميزانية على مجلس الشعب والقرارات الأخيرة يرجى تنفيذ الآتى:

١ - أرسال تقارير سريعة عن رد فعل الجماهير للقرارات الاقتصادية الأخيرة.

٢ - التركيز فى شرح وجهة نظر التجمع على ما يلى:

أ - أن هذه القرارات والتى أتخذت بحجة علاج الأزمة الاقتصادية وسد العجز لا تحقق أى علاج لهذه المشكلة.

ب- أن هذه القرارات من الناحية الاجتماعية تعكس انحيازا واضحا للطبقات الغنية والقادرة. فبينما تحمل الطبقات الشعبية بأعباء فورية، تكتفى الحكومة بالوعد واتخاذ الإجراءات لتحميل الطبقات القادرة جزءاً من الأعباء.

جـ - تحديد مطالبنا الأولية فى الاتصال بأعضاء مجلس الشعب من جميع الأحزاب والمستقلين لمطالبتهم برفض هذه السياسة، وبصفة خاصة إلغاء رفع أسعار السلع الشعبية، (وتنظيم حركة الجماهير الشرعية فى هذا الاتجاه).

٣ - سيصدر التجمع بيانا تفصيليا يوم الخميس ١٩٧٧/١/٢٠

سكرتير العمل الجماهيرى

«وقد حذفت الفقرة التى تقول (تنظيم حركة الجماهير الشرعية فى هذا الاتجاه) وهى قصة يأتى تفصيلها فى فصل قادم».

وأصدر الاتحاد العام بيانا قال فيه:

«عقد مجلس إدارة الاتحاد العام لنقابات عمال مصر ورؤساء النقابات العامة العمالية اجتماعا طارئا مساء اليوم ١٨ يناير ١٩٧٧ بمقر الاتحاد العام بالقاهرة، وذلك لمناقشة القرارات الحكومية الصادرة بشأن تقرير أسعار جديدة لعدد من السلع وزيادة رسوم الإنتاج على عدد آخر منها واخضاع سلع جديدة لرسوم الإنتاج الاستهلاكى.

وبعد إجراء المناقشات وتبادل الآراء وتحليل الآثار الخطيرة التى تنجم عن تطبيق قرارات زيادة الأسعار، وخاصة بالنسبة للطبقة العاملة وجماهير شعبنا الكادحة وما تتحمله من معاناة.. فإن الاتحاد العام لنقابات عمال مصر، يرى أن إصدار هذه القرارات يعتبر تحديا لمشاعر الجماهير ويشكل تجاهلا خطيرا للحركة النقابية المصرية ومصادرة لرأيها الذى كفلها لها قانون النقابات العمالية رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٦ فى المادة السابعة عشرة منه والتى تعطى الاتحاد العام باعتباره قيادة الحركة النقابية المصرية الحق فى إبداء الرأى فى مشروعات القوانين واللوائح والقرارات المتعلقة بتنظيم شئون العمل والعمال وفى مناقشة مشروعات خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية العامة وفى الدفاع عن حقوق عمال مصر ورعاية مصالحهم المشتركة.

إن قرارات زيادة الأسعار تعتبر فى حقيقتها نسفاً لمطالب النقابات العمالية المصرية التى جسدت قرارات مؤتمر الاتحاد للأجور والأسعار المنعقد فى أواخر ديسمبر ١٩٧٦ الذى وضع منهجا علميا لمشاكل سياسات الأجور والأسعار وفى مقدمتها زيادة الأجور وتجميد أسعار السلع وزيادة حد الإعفاء الضريبى.

إن الاتحاد العام لنقابات عمال مصر يؤكد أن إصدار القرارات والقوانين واللوائح التى تتصل بمصالح جماهيرنا الكادحة من قريب أو بعيد لم يعد مقبولا ان يكون مجرد وحى خاطر أو وليد فكر عابر بل إن الصالح العام يستلزم بالضرورة أن تصدر هذه القرارات والقوانين بناء على دراسات علمية متعمقة تأخذ فى اعتبارها ما يكون لها من آثار ونتائج على حياة جماهيرنا.

ولذلك فإن الاتحاد العام يرفض بكل حسم قرارات زيادة الأسعار شكلا وموضوعا، ويطالب بإلغائها.

ويقرر الاتحاد العام الالتقاء فورا بالسيد رئيس الجمهورية ليضع بين يديه الأمر كله، وليأمر بإلغاء هذه القرارات التى تعتبرها جماهيرنا الكادحة عبئا فادحا جديدا.

إن الاتحاد العام على يقين كامل وثقة تامة من أن جماهير عمالنا لهم من الأدراك الواعى ما يجعلهم يشعرون بخطورة الموقف فى هذه المرحلة المصيرية التى يجتازها الوطن الحبيب وهو ما يستوجب منهم وبالدرجة الأولى الحفاظ على مصانعنا وشركاتنا ومنشآتنا والأموال والممتلكات العامة، وكذلك على الترابط الوطنى والوحدة القومية.

وعاش نضال عمال مصر.. وعاشت مصر،

ولكن الصحافة الحكومية المسماة بالقومية لم تنشر البيان الذى وقعه رئيس الاتحاد ووزير العمل فى حكومة ممدوح سالم!

وجاء يوم ١٩ يناير فإذا بالمظاهرات تزداد ضراوة وعنفا.

ونعود إلى التقارير الرسمية والصحفية التى نشرت فى صحف الحكومة.

يقول اللواء أحمد رشدى مدير أمن القاهرة فى تقريره إلى النائب العام ،وفى حوالى الساعة ٨ صباح اليوم التالى ١٩٧٧/١/١٩ عاود عمال منطقة حلوان التجمع أمام محطة مترو باب اللوق. وأمكن تفريقهم بمعرفة قوات الشرطة. وأخذ المتظاهرون فى التفرق إلى مظاهرات تجوب وسط المدينة متخذة أيضا أسلوب التخريب والاتلاف. كما خرجت مظاهرة فى وقت معاصر من مصنع المنسوجات التابع لشركة مصر - حلوان والكائن بحدائق القبة. وتوالى انتشار المظاهرات بنفس الأسلوب فى جميع أنحاء المدينة واستمر المتظاهرون فى التعدى على المنشآت ووسائل المواصلات العامة والخاصة وأقسام الشرطة.

ونتج عن ذلك وقوع حوادث حريق واتلاف وتعد على رجال الشرطة، أصيب من جرائها العديد منهم ومن المتظاهرين. كما حدثت تلفيات ببعض المبانى ووسائل المواصلات، الأمر الذى أوجب استخدام طلقات ،الجرينر، الرش فى الهواء للإرهاب والإنذار والتحذير لتفريق المتظاهرين، ولكنهم لم يمتثلوا، فاضطر رجال الأمن إلى أطلاق هذا النوع من الرش فى الأرجل. وإزاء إصرار المتظاهرين على اقتحام بعض اقسام الشرطة وإشعال النيران فيها والاستيلاء على ما بها من أسلحة، اضطرت القوات بتلك الأقسام إلى إطلاق الأعيرة لإحباط تلك المحاولات، حيث نجحت فى السيطرة على الموقف،.

وتقول الأهرام: ،كانت ظاهرة عامة، ان اعمار المتظاهرين لا تتجاوز اثنى عشر عاما واستعمل المتظاهرون الطوب وخلعوا لوحات الإعلانات.واستعملت الشرطة الغازات المسلية للدموع وأدى خروج الموظفين من اعمالهم إلى زيادة حجم المظاهرات فى اماكن الشعب رغم أن معظم هذه التكتلات البشرية لم تشترك فى التخريب،

واستخدمت قوات الأمن المركزى، الذخيرة الحية فى تفريق المتظاهرين.

وأشعل المتظاهرون النار فى كازينو صفية حلمى، واعتدوا على مقر حزب (الحكومة)، فى العتبة، وأقسام بوليس السيدة زينب والمطرية وباب الشعرية، وقذفوا الجامعة الأمريكية بالحجارة. ونهبت الجمعيات الاستهلاكية بالمطرية والسيدة والحضرى...»

وتمضى الأهرام قائلة فى تقرير كامل عن الحوادث فى القاهرة والمحافظات بتاريخ ٢٠ يناير سنة ١٩٧٧:

«فى الجيزة شهدت منطقة أمبابة أحداثاً هائلة نتيجة تظاهر عمال مصنع الشوربجى وشركة الشرق، وقذفوا مبنى قسم ومركز امبابة. فأطلق البوليس النار. فأزداد سخط المتظاهرين، ووضعوا العوائق على شريط السكة الحديد فى المنطقة وأشعلت النيران فى أحد القطارات وفى ترولى باس».

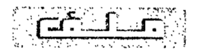
«وشهد ميدان الجيزة معارك بين المواطنين والأمن المركزى، ثم اتجهت المظاهرات إلى شارع الهرم، وركزت قوات الشرطة دفاعها عن مبنى المحافظة، فاتجه بعض المتظاهرين إلى مهاجمة ملهى الأوبرج والليل والملاهى الأخرى...».

«وأصيبت أقسام البوليس فى أمبابة والعجوزة والدقى وبولاق الدكرور والجيزة، والبدرشين...».

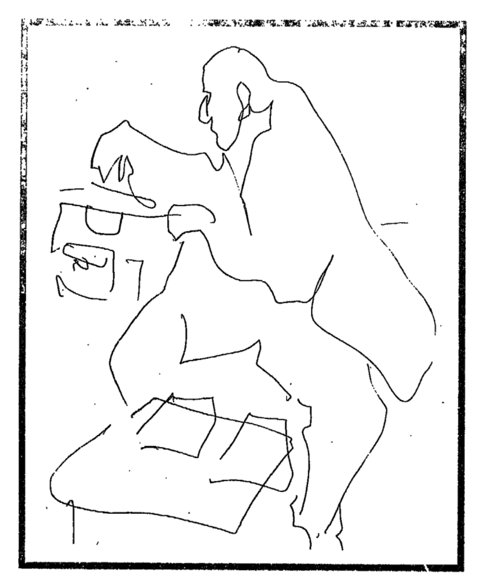
«وفى المنصورة هاجم المتظاهرون مبنى المحافظة واستراحة المحافظ، وقدرت النيابة التلف الناتج فى استراحة السيد المحافظ بما قيمته ٢٨٢٧٣ جنيها.

وشهدت قنا والمنيا وأسوان والسويس وأغلب مدن الجمهورية أحداثا مماثلة.

ولم تتوقف المظاهرات ومعارك الشوارع وعمليات التخريب إلا بعد إعلان الحكومة إلغاء قرارات رفع الأسعار، وإذاعة القرار الساعة ٢,٣٠ ونصه.. «بناء على ما تقدم به السيد رئيس مجلس الوزراء وموافقة السيد رئيس الجمهورية، أصدر السيد ممدوح سالم قرارا بإيقاف العمل بالقرارات التى كانت المجموعة الاقتصادية قد انتهت إليها بشأن زيادة أسعار السلع». وإعلان حظر التجول ابتداء من الساعة الرابعة، ونزول وحدات من المشاة الميكانيكية وقوات الصاعقة والشرطة العسكرية إلى الشوارع، واشتباكها فى عدد من المواقع مع المظاهرات التى استمرت إلى ساعة متأخرة من الليل.



الحجاب: قناعة أم قناع؟



بهى الدين حسن / محمد سعيد العشماوى /
محمود زناتى / فاطمة خير

ملف

خلف الحجاب: دولة دينية على جثة الإخوان المسلمين !

بهى الدين حسن

لنتذكر جميعا تاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٦، فهو سيدخل التاريخ باعتباره يوم بدء تحويل مسار مصر صوب الدولة الدينية.

لا تخطأوا القراءة، إنه ليس اليوم الذي شهد "زوبعة" برلمانية حول تصريحات وزير الثقافة فاروق حسني حول الحجاب،... لا إنه اليوم الذي شهد إعلان عدد من أبرز رؤوس الحزب الحاكم، أن الدين هو المرجع في مناقشة الشأن العام والخاص، هؤلاء ليسوا فقط رئيس البرلمان، ورئيس ديوان رئيس الجمهورية، والمسئول الفعلي عن التنظيم داخل الحزب الحاكم، إن القائمة تشمل أيضا الرؤوس الكبيرة التي لم تتحدث -بعضها لم يحضر- ولكنها أعطت الضوء الأخضر لجلسة استثنائية سبق إعدادها على هذا النحو غير التلقائي. لم يعرف أحد بعد كيف أمكن لتصريحات صحفية عارضة لوزير -في شأن غير عام، ليس للحكومة وجهة نظر معلنة فيه، ولا يتصل بملفات وزارته التي يراقبها البرلمان- أن تقلب جدول أعمال مجلس الشعب وتقتحمه، بحيث تفرد له جلسة بكاملها؟!

لا تخطئوا القراءة، إنه ليس اليوم الذي شهد انضمام نواب الحزب الحاكم للإخوان المسلمين -فهذا موقف تكرر عدة مرات من قبل في مناسبات تتصل أيضا بمصادرة حرية الرأي والتعبير- ولكنه اليوم الذي شهد انتزاع الحزب الحاكم للواء الكفاح من أجل الدولة الدينية من الإخوان المسلمين، حتى أن المانشيت الرئيسي

لإحدى الصحف الحكومية في اليوم التالي كان يزهو بفخر مستحق "الوطني يسحب السجادة من الإخوان"!

الاحتفال بمئوية البنا في البرلمان!

في المناسبات البرلمانية السابقة كان الأمر ينحصر في إدانة ومصادرة مطبوعات اعتبروها مسيئة للإسلام، ولكن في ٢٠ نوفمبر كانت مناسبة لتكفير فردي (وزير الثقافة)، فهو "أنكر للمعلوم من الدين بالضرورة"، بل هو "خان العقيدة والوطن والشعب" و"مبادئ الإسلام". نعرف من سوابق اغتيال المفكر فرج فودة ومحاولة اغتيال نجيب محفوظ، ما هو مصير من تطلق عليه هذه النعوت. لقد لقى هؤلاء مصيرهم نتيجة اتهامات مماثلة من أفراد وجماعات إرهابية، فما بالنا عندما يكون البرلمان منبرا لاتهامات من نفس الصنف، وعلى لسان نوابه بمختلف اتجاهاتهم السياسية، بما فيهم الحكوميين؟!

ومما يثير الذهول، الموقف الذي اتخذه رئيس مجلس الشعب، فهو لم يتدخل مرة واحدة ليوقف اتهامات التخوين والتكفير، أو أقذع السباب (مثل وصف الوزير بأنه زائدة دودية! أو التلميح الصريح بشذوذه وفساده الشخصي!)، ولم يتدخل مرة واحدة لتصحيح من يقولون إن كل المصريين مسلمون!، أو أن الإسلام هو دين كل المصريين!، وأن الشريعة الإسلامية هى المصدر "الوحيد" -وليس الرئيسي- للتشريع! (قالها عضو من الحزب الحاكم!) لم يتدخل مرة واحدة لينبه النواب إلى أن هناك أيضا مواطنين مصريين آخرين ينتمون لديانات أخرى، أو يرفض التشكيك في إيمان وإسلام غير المحجبات من المسلمين! من المنطقي أن يثار في هذا السياق السؤال عن لماذا صمت لعشرات السنين برلمان "الأمة" المفعم بالإيمان والأخلاق والمشاعر الدينية عن الإهانات التي تضخها وسائل الإعلام وشرائط الكاسيت كل يوم ضد المسيحية والمصريين الأقباط؟

ومن المفارقات أيضا أن أغلب مناقشات النواب كانت تنطلق من إدانة تدخل الوزير في مناقشة أمر ديني، لأنه غير متخصص في الدين، رغم أن أغلب من تحدثوا من

النواب ليسوا مختصين بالدين، ومع هذا فإن مداخلاتهم غلب عليها الإفتاء في الدين! أما الاختصاصي الوحيد في الدين بين من تحدثوا، فقد تحدث عن علاقة الحجاب بالأمن القومي!!! (انظر نص المضبطة في روزاليوسف ٢٥ نوفمبر).

تعليقا على هذه الجلسة كتب د. جابر عصفور في الأهرام مرتين تحت عنوان "ليست هذه مصر"!، لا يا دكتور إنها مصر الحقيقية التي لا يريد كثيرون أن يعترفوا بأنها تدهورت وانزلقت إلى هذا الدرك من الغوغائية، وانتقل فيها الإرهاب من أشرطة الكاسيت وزوايا المساجد إلى ساحة البرلمان. إنكار ذلك لا يفيد سوى في تركها لتهوي لدرك سحيق يصعب انتشالها منه، ذلك إذا كان ما زال ممكنا؟

بينما سخر صلاح عيسى من مناقشات البرلمان باعتبارها "جلسة زار"، وهذا أيضا تهوين آخر، لأن إذا كان ضاربي الدفوف في هذا "الزار" شخصيات من نوع سرور وعزمي والشاذلي، فإن على كل "ديوك" البلد التي مازالت لديها قدرة على "الصياح" أن تتهيأ للذبح!

صعود المؤسسة الدينية في النظام السياسي

لا شك أنه إذا كان يوم ٢٠ نوفمبر هو يوم تحويل مسار مصر إلى طريق الدولة الدينية، فإن رئيس البرلمان لعب في ذلك اليوم دور "المحولجي" ببراعة لن يحسده عليها كثيرون. ولكن ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٦ لم يسقط علينا "بالبراشوت"، إنه حصيلة مسار تراكمي، محطاته الرئيسية يوليو ٥٢، يونيو ٦٧، ومايو ١٩٨٠.

بدأ صعود المؤسسة الدينية في النظام السياسي في مصر في أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧، التي قوضت مشروعية نظام يوليو، وأرخت لنهاية عمره الافتراضي. منذ ذلك التاريخ بدأ النظام الحاكم في اللجوء للمؤسسة الدينية لإسناده والمد في أجله، خاصة وأن دور هذه المؤسسة كان قد بدأ يتعزز بالفعل منذ أكثر من عقد، لملء الفراغ الهائل الناجم عن قيام ثورة يوليو باستئصال أو إخضاع كل أشكال

التعبير السياسي والتنظيمي المستقل من أحزاب سياسية ونقابات مهنية وعمالية وجمعيات أهلية ومنابر إعلام، لتصير تدريجيا المؤسسة الدينية، (إسلامية أو مسيحية) -بداية بخليتها الأولى المسجد والكنيسة- المنبر الوحيد للتعبير عن الهموم السياسية، وأكبر معمل لخلق توليفة الدين والسياسة.

عندما واجه الرئيس الراحل أنور السادات في السبعينيات تحديا سياسيا كبيرا لشروعية نظامه من المعارضة الناصرية واليسارية، كان ملجأه الرئيسي هو الدين، من خلال توظيف جماعات الإسلام السياسي في مواجهتها من ناحية، وتعديل المادة الثانية من الدستور، لهيكلة الدور الصاعد للمؤسسة الدينية في النظام السياسي.

لعب هذا التعديل -الذي يقضي بأن "مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسي للتشريع" دور القاطرة لمصر صوب الدولة الدينية! وقد حاول د. صوفي ابو طالب الرئيس الأسبق لمجلس الشعب لعب دور "المحولجي"، وذلك بوضعه خطة عملية لمراجعة التشريعات السارية فعلا وأسلمتها، ولكن هذا كان أحد أسباب إقصاؤه من موقعه، ومن ثم وضع ملفات أسلمة التشريع في الثلاجة.

د. رفعت المحجوب -الذي تولى رئاسة البرلمان فيما بعد- رفض لعب دور "المحولجي"، بل قاوم كل المحاولات لمنح المؤسسة الدينية دور خاص في عملية التشريع يعلو البرلمان، وكان موقفه المعلن في مضابط مجلس الشعب أن رأي المؤسسة الدينية استشاري، وأن التشريع تحسمه قناعات الأغلبية البرلمانية، والتي قد لا تكون بالضرورة متطابقة مع وجهة نظر المؤسسة الدينية. ولكن جرى اغتيال المحجوب فيما بعد.

غير أن سرور تصرف بطريقة مختلفة، فقد تم خلال جلسة ٢٠ نوفمبر "التاريخية" إرساء عدة مبادئ انقلابية، وهى أن الاعتبارات الدينية تكون لها الأولوية عند حدوث تماس بين الشأن العام والديني في اي موضوع (خاصة وأن البرلمان محروم فعليا وعمليا من مراقبة الشأن العام!) وأن الشان الديني هو امر يخص رجال الدين وحدهم دون منازع، وأن البرلمان ليس رقيبا فحسب على الشأن

العام، ولكن أيضا على الآراء الشخصية للوزراء، وخاصة لو كانت ذات صلة بالدين! هل يذكرنا ذلك بالبرلمان الإيراني؟

أظن أنه في المرة القادمة ستكون لوحات فاروق حسني هى موضوع المناقشة في المجلس، خاصة وأن بعضها يمكن "اتهامها"، فهى في النهاية "وجهة نظر شخصية في أمور عامة"! وهو ما يسمح به المجلس ورئيسه. إن ذلك لا ينطوي على اي مبالغة أو سخرية، خاصة وأن بيان المتحدث باسم كتلة الإخوان المسلمين، قد تناول أيضا بالنقد لوحات الوزير! بل ربما تكون هى المهمة الأولى للجنة "النهي عن المنكر" التي تقرر إنشائها بوزارة الثقافة.

في سياق تعزيز ذات المسار أيضا تحدث شيخ الأزهر بعد ايام، فقال إن "حجاب المرأة ليس مجالا للاجتهاد"، ولا يجب أن يتعرض له أحد بالراي والتفاسير (أهرام ٢٥ نوفمبر)، بينما رفع رئيس جامعة الأزهر الحجاب إلى مرتبة "الأوامر الإلهية الثابتة"، وأنه محل إجماع المسلمين على مدى ١٤ قرنا"!

حمدا لله، على الأقل عرفنا أن هناك أمر واحد يجمع عليه المسلمون، بعد أن مزقتهم الخلافات داخل فلسطين ولبنان ودارفور، وانقسموا إلى شيعة وسنة يذبحون بعضهم كل يوم في العراق، ولكنهم مع ذلك يجمعون حول الحجاب على مدار ١٤ قرنا! هل مازال أحد يتساءل عن موقع جامعة الأزهر من جامعات العالم؟

وأخيرا فقد جرى اعتماد "الحجاب باعتباره زي المرأة الشرعي"، وانتقلت مصر إلى مرحلة الكفاح من أجل "الخمار"، حيث يؤكد الأساتذة (أيضا في جامعة الأزهر) أن "الخمار واجب شرعا" وأن "المسلمون قد أجمعوا (أيضا) سلفا وخلفا على مشروعية الخمار"! (أهرام ٣ ديسمبر).

دولة دينية دستورية

تعرف الدولة الدينية بأنها تلك التي تديرها حكومة تعتقد -أو يعتقد الناس- بأن الله هو الذي يوجهها. في هذه الدول يتولى الحكم فيها رجال الدين، و/أو يقومون بدور مركزي في إدارة شئونها، ويشكل التشريع الديني ركيزة نظامها

القانوني، مثال إيران والفاتيكان. بينما تصنف مصر -منذ جرى تعديل المادة الثانية من الدستور، بحيث صارت مبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسي للتشريع- باعتبارها "دولة دينية دستورية". في عام ١٩٨٥ قضت المحكمة الدستورية العليا بأن المعني بتطبيق المادة الثانية من الدستور هو فقط المشرع (أي مجلس الشعب)، وذلك يقتضي التأكد دائما من أن التشريعات التي تصدر عن البرلمان لا تكون متناقضة مع مبادئ الشريعة، وهو الأمر الذي استلزم في عدة مناسبات الرجوع إلى المؤسسة الدينية لاستيضاح رأيها في وجود تناقض أو عدم وجوده، في مشاريع القوانين ذات الصلة، وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية. ولكنه جرى أحيانا استدعاء المؤسسة الدينية للمباركة السياسية، مثلما حدث في قانون الإيجارات الزراعية. ومع ذلك التطور بدأ الدور السياسي للمؤسسة الدينية يتعزز، وبدأت التنازلات (الثمن) تقدم لها في مجالات أخرى خارج البرلمان، مثل تعزيز دورها الرقابي على أعمال النشر والإبداع الأدبي والفني، حتى بلغ الأمر منحها سلطة الضبطية القضائية! غير أنه جدير بالملاحظة ايضا، انه بالتوازي قد تراجع دور المؤسسة الدينية في مواجهة التطرف الديني! إلا من خلال تعليقات تلغرافية ذات طابع سياسي مبتسر، أكثر منها ديني وفقهي، كما فشلت في وقف طبع مصاحف غير مدققة -وهى مهمتها الرئيسية في مجال النشر- حتى بات المصحف يصدر بألوف النسخ بصورة غير سليمة -ومعتمدا منها- مثلما كشفت "المصري اليوم" منذ ايام.

وفي الأزمة الأخيرة (الحجاب)، بدلا من ان تقدم المؤسسة الدينية مذكرة وافية للرأي العام أو للبرلمان، تناقش فيها بعمق طبيعة المشكلة وتاريخها والجدل المثار حولها منذ قديم الأزل، وتقف عند طبيعة العصر الحالي ومتطلباته، وتحلل مضامين الآراء المتعارضة فيها، استنادا إلى المراجع الفقهية الدينية الرئيسية، فإنها اكتفت بالحكم المبتسر الذي يغلق أي مناقشة، ويغذي النزوع نحو ازدراء الحوار في المجتمع، ويرسخ دور كهنوتي لم يعترف به يوما الإسلام لعلماء الدين، وهو إطلاق الأحكام النهائية غير القابلة للنقاش، -على النحو الذي عرفته

المسيحية في العصور الوسطى- والذي يعتبر المختلف معها صراحة أو ضمنيا خارجا عن الإسلام، ومنكرا لأحد فروضه الأساسية. وبما يكرس في النهاية مزيد من التعزيز للتطرف والانغلاق في المجتمع، وأيضا للدور السياسي التسلطي الصاعد للمؤسسة الدينية!

الوطني ينفذ برنامج الإخوان المسلمين !

في المقابل قامت الحكومة بشخص وزير الثقافة بمبادرة موازية في نفس الاتجاه، وهو تشكيل لجنة للرقابة الدينية على انشطة وزارة الثقافة، البعض اعتبرها تجسيدا "لصفقة المرشد والوزير"، ولكن الفحوى الخطير للمبادرة وتوقيت الإعلان عنها عقب اجتماع الوزير مع الهيئة البرلمانية للحزب الحاكم، يفصحان بأنها ترتيب تم على مستوى أعلى من الوزير، وهو ما كشف عنه فاروق حسني في تصريح صحفي للوفد بأنه "مكلف" بالإعلان عن ذلك؟!

إن تمرير جلسة "المحاكمة البرلمانية" يوم الأحد ٣ ديسمبر دون محاكمة! وبسلوك مهذب من نواب الإخوان المسلمين! يقطع أيضا بذلك، لتقطع مصر خطوة على طريق الانتقال من "دولة دينية دستورية" إلى "دولة دينية" يلعب فيها رجال الدين دورا سياسيا مهيكلا، ومن ثم تقترب خطوات ملموسة أخرى باتجاه النموذج الإيراني، وتبتعد بخطوات أوسع عن طراز الدولة المدنية. اليوم وزارة الثقافة وغدا وزارتي الإعلام والتعليم، وربما بعد ذلك يأتي الدور على الداخلية والدفاع!

عندما سئل المرشد العام للإخوان المسلمين منذ شهور عن الإجراءات التي سيتخذها عند الوصول للحكم؟ قال سننشأ لجنة إرشاد ديني في كل وزارة تقدم النصح والإرشاد لوزيرها. وعندما سئل نائب المرشد؟ قال سننشأ لجنة من علماء الدين تنظر فيما يخرج عن البرلمان من تشريعات. مصر تسير الآن بخطوات كبيرة صوب هذا المصير، دون أن يتولى الإخوان المسلمون الحكم! فهناك لجنة ستتلوها لجان بدءا بوزارة الثقافة، والمؤسسة الدينية تقوم بالفعل بمراجعة ما يصدر عن البرلمان من تشريعات، بل وتقدم فتاوى "تكنولوجية" احيانا، مثلما فعلت مؤخرا

بخصوص استعمال الإنترنت في المعاملات الاقتصادية! وفي كل الأحوال لن يكون مفاجئا، تكوين لجنة "مركزية" من علماء الدين، تضم أعضاء من كل لجنة دينية في كل وزارة، وذلك لتقديم النصح والإرشاد الديني للحكومة ككل ومراقبة أدائها!

منذ أيام قلائل سئل محمد حبيب نائب المرشد العام عن الفرق بين خطاب الحزب الوطني والإخوان؟، قال "لا فرق" !

في يونيو ٦٧ سقطت مشروعية نظام يوليو وانتهى عمره الافتراضي، وجاء انتصار أكتوبر ٧٣ ليدفق دماء جديدة في شرايين يوليو، ولكن لأجل، وليس لخلق مشروعية جديدة. إن تأسيس أركان نظام ديمقراطي حقيقي هو وحده الكفيل بتجديد مشروعية النظام الحالي، ولكن يبدو أن ثمن/مهر هذا الزواج أكبر من أن يقدر عليه النظام الحالي، لذلك فإنه يعود لينزح من نفس المعين الذي بدأ يغرف منه نظام يوليو في أعقاب هزيمته التاريخية، أي الاستعانة بالمؤسسة الدينية لتعزيز مشروعيته، غير أنه في واقع الأمر يتحول منذ السبعينيات بشكل تدريجي، ثقافي واجتماعي ودستوري وتشريعي ثم سياسي إلى نظام مختلفا تماما، أي إلى "دولة دينية".

الإخوان المسلمون ليسوا معارضين، إنهم منافسين على نفس الطريق وهم لذلك أكثر خطورة. أما اليساريين والليبراليين فهم معارضة "لطيفة"، وألطف ما فيها أنها تراهن أن للحزب الوطني خيار مختلف عن الإخوان المسلمين! ■

ملف

لا إكراه فى الدين:
الحجاب فريضة سياسية!

المستشار: محمد سعيد العشماوى

مسألة حجاب النساء أصبحت تفرض نفسها على العقل الإسلامى، وعلى العقل غير الإسلامى، بعد ان ركزت عليها بعض الجماعات، واعتبرت أن حجاب النساء فريضة إسلامية، وقال البعض إنها فرض عين، اى فرض دينى لازم على كل امرأة وفتاة بالغة، ونتج عن ذلك اتهام من لا تحتجب - بالطريقة التى تفرضها هذه الجماعات - بالخروج عن الدين والمروق من الشريعة، بما يستوجب العقاب الذى قد يعد أحيانا عقابا عن الإلحاد، (اى الإعدام)، هذا فضلا عن التزام بعض النساء والفتيات بارتداء ما يقال إنه حجاب فى بلاد غير إسلامية، وفى ظروف ترى فيها هذا البلاد أن هذا الحجاب شعار سياسى وليس فرضا دينيا، مما يحدث مصادمات بين المسلمين وغير المسلمين، كما أحدث منازعات بين المسلمين أنفسهم.

فما هى حقيقة الحجاب؟

وما المقصود به؟

وما الأساس الدينى الذى يستند إليه من يدعى أنه فريضة إسلامية؟

ولماذا يرى البعض أنه ليس فرضا دينيا؟ وإنما مجرد شعار سياسى؟

بيان ذلك يقتضى تتبع الآيات القرآنية التى يستند إليها أنصار الحجاب، لاستجلاء حقيقتها، واستقصاء الغرض منها، ثم بيان الحديث النبوى فى ذلك وتتبع مفهومه ونطاقه، ثم عرض أسلوب الإسلام فى تنفيذ أحكامه.

أولا: آية الحجاب:

الحجاب لغة: هو الساتر، وحجب الشئ أى ستره، وامرأة محجوبة أى امرأة قد سترت بستر (لسان العرب، المعجم الوسيط، مادة حجب).

والآية القرآنية التى وردت عن حجاب النساء تتعلق بزوجات النبى وحدهن، وتعنى وضع ساتر بينهن وبين المؤمنين.

«يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فأدخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن (أى نساء النبى) متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما» «سورة الأحزاب ٣٣:٥٣».

وهذه الآية تتضمن ثلاثة أحكام:

الأول: عن تصرف المؤمنين عندما يدعون إلى الطعام عن النبى (صلى الله عليه وسلم).

الثانى: عن وضع الحجاب بين زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) «والمؤمنين.

الثالث: عن عدم زواج المؤمنين بزوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته.

وقيل فى أسباب نزول الحكم الأول من الآية (تصرف المؤمنين عندما يدعون إلى الطعام عند النبى) (صلى الله عليه وسلم) إنه لما تزوج زينب بنت جحش «امرأة زيد» أولم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون فى بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) وزوجه «زينب» مولية وجهها إلى الحائط فثقلوا على النبى (صلى الله عليه وسلم) ومن ثم نزلت الآية تنصح المؤمنين ألا يدخلوا بيت النبى إذا ما دعوا إلى طعام إلا بعد أن ينضج هذا الطعام. فإذا أكلوا فيلنصرفوا دون أن يجلسوا طويلا يتحدثون ويتسامرون «تفسير القرطبى - طبعة دار الشعب - ص ٥٣٠٦».

وقيل فى أسباب نزول الحكم الثانى من الآية (والخاص بوضع حجاب بين زوجات النبى والمؤمنين) إن عمر بن الخطاب قال للنبى (صلى الله عليه وسلم): يا رسول الله. إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر. فلو أمرتهن أن يحتجبن. فنزلت الآية.

وقيل إنه إثر ما حدث عند زواج النبى (صلى الله عليه وسلم) بزينب بنت جحش نزلت الآية بأحكامها (الثلاثة) تبين للمؤمنين التصرف الصحيح عندما يدعون إلى طعام فى بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) وتضع الحجاب بين زوجات النبى والمؤمنين. وتنهى عن الزواج بزوجاته بعد وفاته (المرجع السابق) ولا شىء يمنع من قيام السببين معا.

فالقصد من الآية أن يوضع ستر بين زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) وبين المؤمنين. بحيث إذا أراد أحد من هؤلاء أن يتحدث مع واحدة من أولئك - أو يطلب منها طلبا - أن يفعل ذلك وبينهما ساتر فلا يرى أى منهما الآخر. لا وجهه ولا جسده ولا أى شى منه.

هذا الحجاب (بمعنى الساتر) خاص بزوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) وحدهن، فلا يمتد إلى ما ملكت يمينه (من الجوارى) ولا إلى بناته، ولا إلى باقى المؤمنات. وفى ذلك يروى عن أنس بن مالك أن النبى (صلى الله عليه وسلم) أقام بين خيبر والمدينة ثلاثا (من الأيام) يبنى عليه (أى يتزوج) بصفية بنت حيى. فقال المؤمنون إن حجبها فهى من أمهات المؤمنين (أى من زوجاته) وإن لم يحجبها فهى مما ملكت يمينه (أى من جواريه).. فلما ارتحل وطأ ،أى مهد، لها خلفه ومد الحجاب (أى وضع سترا) بينها وبين الناس (وبذلك فهم المؤمنون أنها زوج له وأنها من أمهات المؤمنين وليست مجرد جارية). أخرجه البخارى ومسلم).

ثانيا: آية الخمار

أما آية الخمار فهى: ،وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن، (سورة النور ٣١:٢٤).

وسبب نزول هذه الآية أن النساء كن فى زمان النبى (صلى الله عليه وسلم) يغطين رؤوسهن بالأخمرة (وهى المقانع) ويسدلنها من وراء الظهر، فيبقى النحر (أعلى الصدر) والعنق لا ستر لهما. فأمرت الآية بلى (أى إسدال) المؤمنات للخمار على الجيوب فتضرب الواحدة منهن بخمارها على جيبها (أعلى الجلباب) لستر صدرها ،المرجع السابق ص ٤٦٢٢،.

فعلة الحكم فى هذه الآية هى تعديل عرف كان قائما وقت نزولها، حيث كانت النساء يضعن أخمرة (أغطية) على رؤوسهن ثم يسدلن الخمار وراء ظهورهن فيبرز الصدر بذلك ومن ثم قصدت الآية تغطية الصدر بدلا من كشفه، دون أن تقصد إلى وضع زى بعينه.

وقد تكون علة الحكم فى هذه الآية (على الراجح) هى إحداث تمييز بين المؤمنات من النساء وغير المؤمنات (اللاتى كن يكشفن عن صدورهن). والأمر فى ذلك شبيه بالحديث النبوى الموجه للرجال (احفوا الشوارب وأطلقوا اللحى) وهو حديث يكاد يجمع كثير من الفقهاء على أن القصد منه قصد وقتى. هو التمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين (الذين كانوا يفعلون العكس فيطلقون الشوارب ويحفون اللحى).

فالواضح من السياق - فى الآية السالفة والحديث السابق - أن القصد الحقيقى منهما هو وضع فارق أو علامة واضحة بين المؤمنين والمؤمنات وغير المؤمنين وغير المؤمنات.

ومعنى ذلك أن الحكم فى كل أمر حكم وقتى يتعلق بالعصر الذى اريد فيه وضع التمييز وليس حكماً مؤبدا (وسيلى بيان أوفى ذلك).

ثالثا: آية الجلابيب

أما آية الجلاليب فنصها كالآتى:

،يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، ،سورة الأحزاب ٣٣:٥٩،.

وسبب نزول هذه الآية أن عادة العربيات (وقت التنزيل) كانت التبذل، فكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء (الجوارى). وإذ كن يتبرزن فى الصحراء قبل أن تتخذ الكنف (دورات المياه) فى البيوت فقد كان بعض الفجار من الرجال يتعرضون للمؤمنات على مظنة انهن من الجوارى أو من غير العفيفات وقد شكون ذلك للنبى ومن ثم نزلت الآية لتضع فارقا وتمييزا بين ،الحرائر، من المؤمنات وبين الإماء (الجوارى) وغير العفيفات هو إدناء المؤمنات لجلابيبهن، حتى يعرفن فلا يؤذين بالقول من فاجر يتتبع النساء دون أن يستطيع التمييز بين الحرة والجارية أو غير العفيفة (المرجع السابق ص ٥٣٢٥،٥٣٢٦).

وقد قيل إن الجلباب هو الرداء، وقيل إنه ثوب أكبر من الخمار، وقيل إنه القناع، ولكن الصحيح أنه الثوب الذى يستر جميع البدن (المرجع السابق).

فعلة الحكم فى هذه الآية أو القصد من إدناء الجلابيب أن تعرف الحرائر من الإماء (الجوارى) ومن غير العفيفات. حتى لا يختلط الأمر بينهن ويعرفن، فلا تتعرض الحرائر للإيذاء وتنقطع الأطماع عنهن. والدليل على ذلك أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى أمة (جارية) قد تقنعت أو أدنت جلبابها عليها. ضربها بالدرة محافظة على زى الحرائر (ابن تيمة- حجاب المرأة ولباسها فى الصلاة - تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى - المكتب الإسلامى - ص٣٧).

وقد اختلف الفقهاء فى معنى إدناء الجلابيب على تفصيل لا محل له، والأرجح أن المقصود به الا يظهر جسد المرأة.

وإذا كانت القاعدة فى علم أصول الفقه أن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما، فإن وجد الحكم وجدت العلة.

وإذا انتفت العلة انتفى (أى رفع) الحكم، إذ كانت القاعدة كذلك، فإن علة الحكم المذكور فى الآية - وهى التمييز بين الحرائر والإماء- قد انتفت لعدم وجود إماء «جوارى» فى العصر الحالى. وانتفاء ضرورة قيام تمييز بينهما ولعدم خروج المؤمنات إلى الخلاء للتبرز وإيذاء الرجال لهن ونتيجة لانتفاء علة الحكم فإن الحكم نفسه ينتفى (أى يرتفع) فلا يكون واجب التطبيق شرعا.

حديث النبى (صلى الله عليه وسلم):

واضح مما سلف أن الآيات المشار إليها لا تفيد وجود حكم قطعى بارتداء المؤمنات زيا معينا على الإطلاق وفى كل العصور، ولو أن آية من الآيات الثلاث الآنف ذكرها تفيد هذا المعنى - على سبيل القطع واليقين - لما كانت هناك ضرورة للنص على الحكم نفسه مرة أخرى فى آية أخرى. فتعدد الآيات يفيد أن لكل منها قصدا خاصا وغرضا معينا يختلف عن غيره، لأن المشرع العادى منزه عن التكرار واللغو فما البال بالشارع الأعظم؟!!!

ومن أجل ذلك. فقد روى حديثان عن النبى (صلى الله عليه وسلم) يستند إليهما فى فرض غطاء الرأس (الذى يسمى خطأ بالحجاب) فقد روى عن عائشة عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت

(بلغت) أن تظهر إلا وجهها ويديها إلى هاهنا، وقبض على نصف الذراع. وروى عن أبى داود عن عائشة أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال لها ،يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى فيها إلا هذا. وأشار إلى وجهه وكفيه،.

ويلاحظ على هذين الحديثين انهما من أحاديث الآحاد لا الأحاديث المجمع عليها. اى المتواترة أو الأحاديث المشهورة وفى التقدير الصحيح أن أحاديث الآحاد أحاديث للاسترشاد والاستئناس. لكنها لا تنشىء ولا تلغى حكما شرعيا. ومن جانب آخر، فإنه رغم رواية الحديثين عن واحدة - هى عائشة زوجة النبى (صلى الله عليه وسلم) - فإنه قد وقع تناقض بينهما، ففى الحديث الأول قيل أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قبض على نصف ذراعه عندما قال الحديث. بما يفيد أن الجائز للمؤمنة البالغة أن تظهر وجهها ونصف ذراعيها (بما فى ذلك الكفين) بينما قصر الحديث الثانى الإجازة على الوجه والكفين وحدهما ،دون نصف الذراع، ومن جانب ثالث، فقد ورد الحديث الأول بصيغة الحلال والحرام، بينما جاء الحديث الثانى بصيغة الصلاح ،لا يصلح للمرأة إلا كذا، وفارق ما بين الاثنين كبير، ذلك أن الحلال والحرام يدخل فى نطاق الحكم الشرعى، فى حين أن ،الصلاح، يتعلق بالأفضل والأصلح فى ظروف اجتماعية معينة.

ومع هذا الاختلاف البيِّن بين. الحديثين، فإنهما يثيران مسألة وقتية الأحكام أى تأقيت الحكم فى حديث شريف معين. بوقت بذاته وعصر محدد. ذلك أن بعض الفقهاء يرى أنه فيما صدر عن النبى حتى من تشريعات - ما يفيد انه تشريع زمنى روعيت فيه ظروف العصر. فقد يأمر النبى (صلى الله عليه وسلم) بالشىء أو ينهى عنه فى حالة خاصة لسبب خاص، فيفهم الصحابة (أو الناس) أنه حكم مؤبد بينما هو فى الحقيقة حكم وقتى.

وقد كان لعدم الفصل بين النوعين من الأحكام : المؤبد والوقتى أثر كبير فى الخلاف بين الفقهاء. فقد يرى بعضهم حكما للرسول يظن انه شرع عام أبدى لا يتغير بينما يراه الآخر صادرا عنه لعلة وقتية. وأنه حكم جاء لمصلحة خاصة قد تتغير على مر الأيام (عبد الوهاب خلاف - مصادر التشريع مرنة - مجلة القانون والاقتصاد - عدد أبريل - مايو سنة ١٩٤٤ ص ٣٥٩، محمد مصطفى شلبى، تعليل

الأحكام، طبعة سنة ١٩٤٩، ص ٢٨).

وأخذا بهذا النظر، فإن ما جاء فى الحديثين المنوه عنهما. وخاصة ذلك الحديث الذى ورد بلفظ «الصلاح».

أقرب إلى أن يكون حكما وقتيا يتعلق بظروف العصر وليس حكما مؤبدا بحال من الأحوال، يؤيد هذا النظر ما أنف شرحه من أن آية الخمار قد قصدت تعديل عرف جار والتمييز - غالبا - بين المؤمنات وغير المؤمنات . كما أن آية الجلابيب قد قصدت التمييز بين الحرائر والإماء (الجوارى) أو بينهن (أى الحرائر العفيفات) وبين غير العفيفات.

أسلوب القرآن فى تنفيذ الأحكام:

ومهما يكن الرأى. فإن أسلوب القرآن ونهج الإسلام هو عدم الإكراه على تنفيذ أى حكم من أحكامه. حتى أحكام الحدود (العقوبات) وإنما يكون التنفيذ دائما بالقدوة الحسنة والنصيحة اللطيفة والتواصى المحمود.

ففى القرآن : «لا إكراه فى الدين» سورة البقرة ٢:٢٥٦. وإذا كان الأصل أن لا إكراه فى الدين ذاته، فلا إكراه - من باب أولى - فى تطبيق أى حكم من أحكامه أو تنفيذ أى فريضة من فرائضه، إنما تكون نتيجة عدم التطبيق وعدم التنفيذ إثما دينيا، وهو أمر يتصل بالعلاقة بين الإنسان وربه وحتى فى الحدود (العقوبات) فإن القاعدة فيها أن لا حد على تائب ومعنى ذلك أن الحد لا يقام على من يعلن التوبة وإنما يقام على من يرفض ذلك ويصر على توقيع العقوبات عليه.

وفى تصرف النبى (صلى الله عليه وسلم) إثر رجم أحد الزناة ما يفيد أنه إذا أراد الجانى أن يفر من تطبيق العقوبة فعلى الجماعة (المجتمع) أن تمكنه من ذلك. أى أن الحدود لا تقام إلا بإرادة الجانى. ويقصد تطهيره إن رغب هو فى التطهر.

فإذا كان ذلك هو الأساس فى الإسلام، والقاعدة فى القرآن، فإنه لا يجوز إكراه أى امرأة أو فتاة على ارتداء زى معين، سواء كان الإكراه ماديا باستعمال العنف أم كان معنويا بالتهديد بالعنف أو الاتهام بالكفر، ويكون المكره فى هذه الحالة آثما لاتباعه غير سبيل الإسلام، وانتهاجه غير نهج القرآن.

وقد كان من نتيجة الإكراه، والتلويح بالإكراه، على تغطية النساء رؤوسهن بغطاء

يسمى خطأ بالحجاب (مع أن الحجاب شيء آخر كما سلف البيان) كان من نتيجة ذلك أن وضعت بعضهن هذا الغطاء رياء ورءاء. وأحيانا أخرى مع وضع الأصباغ والمساحيق على الوجه بصورة تتنافى مع معنى الحجاب.

وقد يحدث مع ارتداء ما يسمى بالحجاب أن تقف به سيدة أو فتاة فى المراقص العامة أو النوادى الليلية وهى تخاصر رجلا أو فتى تراقصه على الملأ. أو قد تسير أو تجلس معه فى طريق مظلم أو مكان موحش دون وجود أى محرم.

إن الحجاب الحقيقى هو منع النفس عن الشهوات وحجب الذات عن الآثام، دون أن يرتبط ذلك بزى معين أو بلباس خاص غير أن الاحتشام وعدم التبرج فى الملبس والمظهر أمر مطلوب يقره كل عاقل وتتمسك به أى عفيفة.

الخلاصة:

يخلص من كل ذلك:

- الحجاب يعنى وضع ساتر معين وهو فى القرآن يتعلق بوضع ستر بين زوجات النبى - وحدهن - وبين المؤمنين بحيث لا يرى المؤمن من يتحدث إليها من أمهات المؤمنين ولا هى تراه.
- الخمار كان وقت التنزيل عرفا تضع النساء بمقتضاه مقانع (أغطية) على رؤوسهن ويرسلنها وراء ظهورهن فتبدو صدورهن عارية، ومن ثم فقد نزل القرآن بتعديل هذا العرف بحيث تضرب المؤمنات بالخمار على جيوبهن ليخفين صدورهن العارية ويتميزن بذلك من غير المؤمنات.
- إدناء الجلابيب كان أمرا بقصد التمييز بين النساء المؤمنات الحرائر وبين الإماء (الجوارى) منهن أو بين العفيفات وغير العفيفات، وإذا انتفت علة هذا التمييز لعدم وجود إماء (جوارى) فى الوقت الحاضر فإنه لم يعد ثم محل لتطبيق الحكم.
- حديث النبى (صلى الله عليه وسلم) عن الحجاب (بالمفهوم الدارج حالا) هو من أحاديث الآحاد التى يسترشد ويستأنس بها، وهو أدنى إلى أن يكون أمرا وقتيا يتعلق بظروف العصر لتمييز المؤمنات عن غيرهن، أما الحكم الدائم فهو الاحتشام وعدم التبرج.

الحجاب دعوى سياسية:

الحجاب - بالمفهوم الدارج حالا - - شعار سياسى وليس فرضا دينيا ورد على سبيل الجزم والقطع واليقين والدوام، فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية، لقد فرضته جماعات الإسلام السياسى - أصلا - لتميز بعض السيدات والفتيات المنضويات تحت لوائهم عن غيرهن من المسلمات وغير المسلمات، ثم تمسكت هذه الجماعات به كشعار لها. وافرغت عليه صبغة دينية، كما تفعل بالنسبة للبس الرجال للجلباب أو الزى الهندى «والباكستانى»، زعما بأنه زى إسلامى، وهذه الجماعات - فى واقع الأمر - تتمسك بالظواهر دون أن تتعلق بالجواهر، وتهتم بالتوافه من المسائل والهوامش من الأمور، ولا تنفذ إلى لب الحقائق وصميم الخلق وأصل الضمير. وقد سعت هذه الجماعات إلى فرض ما يسمى بالحجاب - بالإكراه والإعنات - على نساء وفتيات المجتمع كشارة يظهرون بها انتشار نفوذهم وامتداد نشاطهم وازدياد اتباعهم، دون الاهتمام بأن يعبر المظهر عن الجوهر، وأن تكون هذه الشارة معنى حقيقيا للعفة والاحتشام وعدم التبرج.

وقد ساعدهم على انتشار ما يسمى بالحجاب بعض عوامل منها عامل اقتصادى هو ارتفاع أسعار تجميل الشعر وتصفيفه. وازديادها عن مستوى قدرة أغلب الناس.

والدليل على أن للعامل الاقتصادى أثرا فى انتشار ما يسمى بالحجاب ،إن هذا العامل ذاته هو الذى يدفع كثيرا من النساء والفتيات إلى العمل - فى الغالب - للحصول على موارد مالية أو لزيادة إيراد الأسرة مع أن جماعات الإسلام السياسى تدعى أن عمل المرأة حرام.

فالعامل الاقتصادى - فى غالب الأحيان - هو الذى دفع المرأة إلى العمل رغم الزعم بتحريمه. وهو الذى دفع كثيراً من النساء والفتيات إلى وضع غطاء للرأس.

وإن كان مزركشا وخليعا. كأنما الشعر وحده هو العورة لابد أن تستتر ثم تكون بعد ذلك.

غطاء لأى تجاوز أو فجور ■

● من كتاب: حقيقة الحجاب



المرأة العربية بين السفور والحجاب

د. محمود سلام زناتى
(استاذ تاريخ وفلسفة القانون بجامعة أسيوط)

(١)

أثر السفور والحجاب والاختلاط والانفصال على وضع المرأة

ينعكس موقف العرف القبلى من سفور النساء أو احتجابهن ومن اختلاط الجنسين أو انفصالهما، على جوانب عديدة من حياة المرأة ووضعها الاجتماعى والقانونى.

وسوف نستعرض فيما يلى تأثير موقف العرف القبلى فى هذا الخصوص أولا بالنسبة لحرية المرأة فى اختيار زوجها، وصلاحيتها للمشاركة فى عقد زواجها بنفسها، وصلاحيتها لأداء الشهادة، ومدى مشاركتها فى الحياة الاجتماعية.

أولا: حرية اختيار الزوج:

تتمتع الفتاة لدى القبائل التى تأخذ بالسفور والاختلاط بقدر من الحرية لا تتمتع به مثيلتها لدى القبائل التى تأخذ بالحجاب والانفصال، فى اختيار زوجها، والأمثلة على ذلك عديدة:

فلدى قبائل عسير اختيار العروس لاسيما القرويات والبدويات - يقع فى أحد مكانين: السوق أو البئر. وما على الراغب فى الزواج إلا أن يرتدى أحسن ثيابه يوم السوق، ويشرع فى ذرعه ذهابا وجيئة إلى ان يقع نظره على فتاة تعجبه، فيتقدم إليها خاطبا باللغة المعلومة «أنا ميدك» و«انا ميد» أو «أنا ليس ميد»(١).

وفى «أبها» للمرأة مطلق الحرية فى اختيار الزوج: فإذا تقدم أحد لخطبتها - وغالبا تراه - ولم يعجبها أبت وامتنعت بكل صراحة، ولا تقع أية محاولة من ذويها لحملها على القبول والاستجابة وهن صريحات فى قول: لا أو نعم(٢).

وفى قبيلة «بلقرن» بالحجاز لا يستطيع الرجل (فيما عدا ابن العم) الزواج، إلا إذا حصل على موافقة الفتاة وموافقة أمها(٣).

وعلى العكس لا تتمتع الفتاة، كقاعدة عامة، بأية حرية فى اختيار زوجها المقبل لدى القبائل التى تفرض الحجاب على النساء وتحظر الاختلاط بين الجنسين.

ففى بعض جهات نجد لا تستشار البنت بل يبقى الأمر خافيا عليها، حتى تقابل زوجها يوم زفافها أول مرة.(٤) ولدى بدو «بير سبع» ليس للفتاة البكر اختيار فيما يتعلق بزواجها(٥) ولدى بدو سيناء إذا كانت البنت بكرا لا يؤخذ رأيها فى خاطبها، بل لابد لها من الرضى بمن رضى به أبوها أو وليها.(٦)

ثانية: الصلاحية لعقد الزواج:

القاعدة العامة لدى القبائل العربية، سواء منها التى تأخذ بالسفور وتبيح الاختلاط بين الجنسين، أم تلك التى تفرض الحجاب وتحظر الاختلاط أن المرأة - سواء كانت بكرا تتزوج للمرة الأولى أم ثيبا سبق لها الزواج وطلقت أو ترملت - لا تشارك بنفسها فى إبرام عقد زواجها، بل ينوب عنها فى ذلك أحد أوليائها: أبوها أو أخوها أو عمها.. إلخ ومع ذلك ففى بعض القبائل العربية القليلة ينعقد الزواج مباشرة بين الفتى والفتاة من هذه القبائل: «ولد على» و«النمير» و«الشرارات».

فلدى «الشرارات» على سبيل المثال، كان عقد الزواج يتم بأن يجلس كل من العريس والعروس مقابلا للآخر على حجر فيقول:

العريس: «أنا قاعد ع حجر»

العروس: «وأنا قاعدة ع حجر»

العريس: «اسمع يارب البشر، أنت أنثى، وأنا لك ذكر».

ثم يكسر العريس عودا، دلالة على أن الاتفاق قد تم وأن كل حاجز بينهما قد زال، وأن الشر قد تحطم، فيقول الشهود «الله أكبر» أربع مرات وهم يكررون التكبير أربعا إلا فى موقف الزواج وفى حالة دفن الميت كأنهم يشيرون بذلك إلى بدء الحياة، وإلى ختامها(٧).

وليس من قبيل المصادفة البحتة أن هذه القبائل التى تسمح للمراة بأن تكون طرفا مباشرا فى عقد زواجها هى من القبائل التى تأخذ بالسفور وتسمح بالاختلاط بين الجنسين، فليس من المتصور وجود مثل هذا العرف لدى قبائل تفرض الحجاب على النساء، وتمنع الاختلاط بين الجنسين.

ثالثا: عدم صلاحية المرأة للشهادة:

يجرى العرف لدى بعض القبائل بعدم الاعتداد بشهادة النساء أو صلاحيتهن لأداء الشهادة إلى حد بعيد.

يقول «كينيت» عن بدو سيناء أن شهادة المرأة غير مقبولة إلا بالنسبة للمسائل الخاصة بالنساء أو بالنسبة للاعتداء على شخصها(٨).

ولدى بدو «مادبا» لا تقبل شهادة المرأة فى أى حال من الأحوال. وقد ترتب على عدم اعتداد العرف بشهادة النساء تحامل الرجال على النساء، فى شأن تفسير سبب عدم قبول شهادتهن. فلدى بدو «مادبا» يقول الرجال «الله يلعن النسوان، يشهدن وهن غايبات، ويحلفن وهن كاذبات»(٩).

رابعا: عدم مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية:

يسود لدى المجتمعات العربية التى تفرض الحجاب على نساء وتحظر الاختلاط بين الجنسين، عدم مشاركة النساء فى وجوه الحياة الاجتماعية أو تقييد هذه المشاركة إلى حد بعيد. فكلما كان الحجاب صارما والفصل بين الجنسين تاما اشتدت عزلة النساء وازداد بعدهن عن تيار الحياة الاجتماعية وألزمن القعود فى البيت وعدم الخروج منه إلا لضرورة قصوى.

وتكون عزلة النساء وسلبيتهن أوضح ما تكون فى المدن العربية التى ما زالت تفرض على نسائها الحجاب الثقيل. وأوضح مثال لهذه المدن مدينة صنعاء فقد وصفت هويك نساءها بقولها:

«والحديث مع النساء سواء فى القصر أو فى البلدة محدود إلى درجة كبيرة، إذ أن أفكارهن وأعمالهن محصورة للغاية. فالأماكن التى يعشن فيها، ولا سيما إذ كن من زوجات الأثرياء وذوى النفوذ وبناتهن، لا تعدو بيوتا ذات طبقات عدة وتضم عددا من الغرف يستطعن منها الأطلال على الباحات الداخلية أو الشوارع أو حتى

الحقول التى تقوم وراء المنازل المجاورة والتى لا يسمح لهن قط بزيارتها و لا تتبادل النساء الزيارات إلا فى المدن، وهو أمر يستهويهن إذ يقطع عليهن رتابة الحياة اليومية التى يعشنها. وعندما يقمن بهذه الزيارات يتحجبن بحجب سوداء، ثقيلة ويسرعن بالمرور من الطرقات والأزقة، متجنبات الأسواق المكتظة بالناس، وغيرها من الأماكن العامة شريطة العودة إلى بيوتهن قبل المغيب»(١٠).

كذلك يقول «جوهر وأيوب» عن النساء فى مدن اليمن: «على الرغم من أن المرأة محجبة فى المدن فإن قيود التقاليد والعادات تحد من حركتها وتصرفاتها وتجعل منها شيئاً مهملا منسيا حتى اسمها لا تنادى به، والاسم الذى تنادى به هو الاسم الأول لأقرب الذكور إليها، حتى النسوة انفسهن يلقبن بعضهن بعضا بأسماء الرجال، كقولهن السيد محمد أو السيد عبد الله، بدلا من اسم المرأة الحقيقى، الذى قد يكون زينب أو فاطمة مثلا.

وفى مدينة «صلالة» مازال حجاب النساء ممارسا إلى حد كبير، فلا يكاد يكون لهن وجود خارج بيوتهن. فالمحلات مليئة بالسلع بصورة تدعو للدهشة. فيمكنك أن تجد كل شىء تقريبا: القماش والأجهزة الكهربائية والحلى والأثاث وأدوات التجميل والساعات والراديوهات وأجهزة التليفزيون ولعب الأطفال والمكونات اللازمة لأكثر وصفات الطعام تقريبا. لكن لا وجود للمرأة على الإطلاق، فيما عدا الأجنبيات والنساء اللاتى من ذرية العبيد. وقد سألت «جراتن» صديقا لها من صلالة: «ماذا يحدث عندما تريد زوجتك اختيار ثوب جديد؟» فأجاب قائلا: «أحضر لها كل شىء تريده. وتقول لى ما الذى تحبه وأذهب لاشتريه لها»(١١).

ورغم أن المرأة فى عمان أحسن حالا منها فى جهات أخرى من شبه الجزيرة، فإن المرأة الحرة فى عمان كانت تخضع لبعض قيود لم تكن ترد على حرية المرأة من ذرارى العبيد السابقين، مما حدا بأحد الباحثين إلى القول بأنه لو كان امرأة فى عمان لفضل أن يكون جارية على أن يكون امرأة عربية وحرة، فعلى عكس المرأة العربية المختونة، التى لا حول لها ولا قوة ولا أمل، والتى تظل طيلة عمرها محجبة بشدة، ومعزولة بدنيا وأدبيا وغارقة فى الجهل والخفاء، تتمتع الجارية غير المحبوسة بحرية نسبية لأنها تسير غير منقبة، حيثما تشاء ومع من تريد(١٢).

وفى نجد لا تجلس المرأة بجوار زوجها فى السيارة بل فى الخلف ولو لم يكن غيرها فيها، وحتى لو كانت السيارة مكشوفة فتركب فى الخلف فى أشد الأيام بردا

أو أكثرها حرا، ولا تسير بجانبه وإنما وراءه فى الشارع، وإذا وصلت مكانا فيه مقاعد جلست على الأرض وتركت المقاعد فارغة(١٣).

(٢) مصير السفور والحجاب والاختلاط والانفصال

يتنازع مصير السفور والنقاب والانفصال اتجاهان متعارضان. فثمة اتجاه نحو امتداد النقاب والانفصال إلى مجتمعات كانت تأخذ من قبل بالسفور والاختلاط. وثمة اتجاه على العكس نحو اختفاء الحجاب والانفصال لدى مجتمعات كانت تأخذ بهما. ونتحدث فيما يلى، عن كل من هذين الاتجاهين:

أولا: امتداد الحجاب والانفصال:

من الثابت أن أبسط المجتمعات البشرية وأقلها تطورا لا تعرف حجابا للنساء ولا فصلا بين الجنسين، بل إن السفور لدى هذه المجتمعات لا يقتصر على وجه المرأة بل يمتد إلى أجزاء أخرى من جسمها وربما إلى جسمها كله. ويظهر الحجاب لأول مرة لدى المجتمعات التى توطنت واشتغلت بالزراعة وازدهرت فيها التجارة والصناعة.

ومن أقدم الشعوب التى فرضت الحجاب على نسائها الحرائر الآشوريون فثمة شواهد تشير إلى أن النساء الآشوريات فرض عليهن الحجاب منذ ما يقرب من ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. ثم انتشر الحجاب فى الشرق والغرب والجنوب فعرفه الإغريق فى القرن الخامس قبل الميلاد، كما عرفته سوريا وبلاد النهرين وبلاد فارس والهند والصين.

ومن الطبيعى أن تتأثر بعض المدن العربية قبل الإسلام بالحجاب السائد لدى الشعوب التى حولها والتى تربطها بها علاقات تجارية. ومن الطبيعى أن تتأثر به أيضا بعض القبائل العربية التى تعيش على مقربة من هذه البلاد التى يسود فيها الحجاب.

ومن ثم يبدو من الصعب إنكار تأثير بلاد النهرين وبلاد فارس، وبلاد الهند، على قبائل الجزيرة العربية فى هذا الشأن منذ فترة سابقة على الإسلام. فثمة شواهد

عديدة ترجع إلى ما قبل الإسلام، يدل بعضها على أن النساء كن فى كثير من القبائل العربية سافرات، بينما يدل البعض الآخر على وجود قبائل كانت تفرض النقاب على نسائها . ومن العوامل التى أدت إلى أخذ بعض القبائل البدوية بالنقاب اتصال أبناء هذه القبائل بأهل مدن تفرض الحجاب على نسائها.

يشير «بوركاردت» فى أوائل القرن الماضى، إلى هذا الظرف الذى يعمل فى صالح انتشار الحجاب بقوله: لقد بدا لى دائماً أنه كلما كان ارتباط القبيلة بأهل المدن وثيقا، كان حجاب النساء صارما. ففى جبال مكة وسيناء إذا خاطب أى غريب امرأة فمن النادر أن تجيبه بينما فى السهول البعيدة أتيحت لى فرصة الحديث والمشاركة فى الضحك مع نساء من عنزه وحرب والحويطات(١٤).

بل إن تأثير بعض المدن فى شأن الحجاب قد يتجاوز المناطق المجاورة ويمتد إلى بلاد قصية. وفى مقدمة المدن التى كان لها هذا الأثر مكة والمدينة. وذلك أن الحج يؤدى إلى قدوم بعض المسلمين من بلاد لا تخضع فيها النساء للحجاب ولا يفرض فيها العرف أو التقاليد الفصل بين الجنسين وعندما يشاهدون نساء مكة والمدينة وقد تحجبن يتبادر إلى ذهنهم أن الحجاب لابد أن يكون نظاما يفرضه الإسلام، ولذلك فعندما يعودون إلى بلادهم يحاولون فرض الحجاب على نسائهم أسوة بنساء مكة والمدينة.

ومن العوامل التى أدت إلى اكتساب الحجاب والانفصال بين الجنسين أرضا جديدة على حساب السفور والاختلاط بين الجنسين، بعض الدعوات السلفية التى تنظر إلى الحجاب باعتباره أحد النظم الأساسية فى الإسلام. فإتباع مثل هذه الدعوة يعمدون إلى إلزام نسائهم السافرات بالاحتجاب ووضع النقاب. ومع ازدياد أتباع الدعوة، فى إحدى المدن أو القبائل يصبح الحجاب الطابع الغالب على نسائها، ويصبح الفصل بين الجنسين المبدأ الأساسى الذى يحكم العلاقات بين الرجال والنساء.

ثانيا: الاتجاه نحو السفور والاختلاط

من الممكن فى الوقت الحاضر أن نعاين اتجاها فى المجتمعات التى تأخذ بالنقاب والفصل بين الجنسين، نحو التخلى عن النقاب والسماح بالاختلاط.

ويبدو هذا الاتجاه فى المدن على نحو أوضح منه فى البادية أو الريف. فالتغيير

فى المدن يسير بمعدل أسرع منه فى القرية أو المضرب، ورغم أن معدل التغيير فى المدينة أسرع منه فى القرية أو المضرب فإن المدن تتفاوت فيما بينها. ففى بعضها يحدث التغيير بمعدل أسرع منه فى البعض الآخر.

يقول «العودى» إنه بالنسبة للموقف من الحجاب ومن المرأة بشكل عام فى المجتمع اليمنى، فإن الأمر لا يخرج كثيرا عما هو سائد على النطاق القومى فى الوطن العربى ومع أن الطابع العام لوضعها الراهن هو الحجاب إلا أن الزمن يسير فى غير صالح هذا الاتجاه بكل تأكيد رغم أن خطواته تتحرك ببطء وبصورة تلقائية(١٥).

وقد يتخذ التخلى عن النقاب» فى بعض المدن العربية صورة مبادرة جريئة من بعض النساء اللاتى نلن حظا من التعليم والثقافة، اتسعت آفاقهن وادركن ما ينطوى عليه نظام الحجاب بالنسبة للنساء من ظلم فادح، وتقييد لحريتهن لا مبرر له. من ذلك مثلا الحدث الذى رواه فيلبس بقوله: «وبعد ظهر الجمعة ٢٥ سبتمبر ١٩٥٩ وقع حدث تاريخى مهم، بعد قرون من الكبت والسكون، حيث اقتحمت ست فتيات ذوات عقل وشجاعة لا يحملن البرقع مكتب تحرير صحيفة (اخبار عدن) واعلن أنهن قد طرحن جانبا نظام البردة (البرقع) الذى لا معنى له، بعد اجتماع ضم ثلاثين من النساء العربيات اللاتى قررن هجر البرقع إلى الأبد باعتباره «قرحا مؤلما، وقد تلت هذا الحدث غير المسبوق مظاهرات أنانية وهستيرية من ذكور عدن، وهى تعبير عن عدم الثقة فى الجنس الآخر وعن سيطرة الذكور. وكان شعارهم «النساء يرتكبن إثما بالتخلى عن البرقع، وعلى عصبتهن أن يوقفوا هذا العدوان على الدين»(١٦).

ويعلق «فيلبس» على رد فعل الرجال بقوله: «ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن ثمة حاجة إلى وسائل مصطنعة لحماية عفة النساء فى عدن، بسبب ما فى عفة الذكور من نقص. وكانت هناك صيحات مماثلة من الذكور عندما حاولت النساء فى بلاد إسلامية أخرى تحرير انفسهن.

وهكذا ينسب الوضع المنحط للنساء فى الوقت الحاضر وما يعانينه من فقدان الحرية والتعليم، والذى هو مجرد نتيجة للطغيان الأنانى وغيبة ضبط النفس، إلى التعاليم الدينية(١٧).

الهوامش

١) حمزة، المصدر المشار إليه، ص ١٣٢.

٢) رفيع، المصدر المشار إليه، ص ٣٤

٣) شاكر، الحجاز، ص ١٨٦

٤) شاكر، نجد،ص٢٥٤

٥) العارف، ص ٥٧

٦) شقيحة، جـ٢،ص٣٨٧

٧) العزيز، ص ١٨٣

٨) Kennett, op,cit.P 131

٩) العزيزى، ص ١٨٩

١٠) هويك، ص ٢٥

١١) Gratz op,cit.P 131

12) Philips, op,cit.P 131

١٣) شاكر، نجد، ص ٢٥١

١٤) Burchardt, op,cit.P 131

١٥) التراث وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية القاهرة ١٩٨٠، ص٣٠٢

١٦) المصدر المشار إليه، ص ١٤٥

١٧) المصدر المشار إليه ص ١٤٥

الحجاب: مشاهدات وشهادات

فاطمة خير

(١) أخلاق لرمضان فقط

لم أكد أصل إلى مقر عملى ، حتى بادرنى زميل منذ مدة بتحية الصباح مصحوبة بابتسامة خاطفة ، تناسيت إجهاد الطريق،

الذي ضاعفه الصوم وهرعت إلى مكتب زميلتي علها تملك الجواب الشافى لهذا التحول المفاجىء، .

وكانت المفاجأة الثانية التي أطاحت بالأولى، فالزميلة التي لطالما كرهت وضع الحجاب كانت تغطي شعرها "بإيشارب" .. والسبب كما صرحت هو الصيام . ولهول المفاجأة كررت سؤالي بإلحاح فجاء التفسير الموسع . فالجيران يلومونها على خروجها " في وضح النهار خلال شهر الصوم ، وحتى " تشتري دماغها " قررت الخضوع ووضع الإيشارب كي تتفادى المواعظ اليومية . هذا الإيشارب الذي يخدمها مسافة طريق الذهاب إلى العمل والعودة إلى المنزل ، فلا داعى للإلتزام به في مقر العمل البعيد عن أعين الجيران .

مؤخرًا نشرت دراسة قام بها باحثون مصريون، أشارت إلى تزايد السلوك الطيب بين المصريين خلال شهر رمضان ،وأن نسبة الكلمات التى تعبر عن المودة والحب والصداقة والأخوة والعرفان والتسامح ، تزيد إلى ما يقارب الضعف فى هذا الشهر ،وفي المقابل فإن الكلمات النابية تقل بشكل كبير ،ويرجع ذلك الى رغبة الناس فى التحلي بأخلاق افضل!

قد يتطلع الناس إلى الألتزام بالصوم " المعنوي " والارتقاء إلى مستوى أعلى من الأخلاقيات وعدم حصر الصوم بالامتناع عن الطعام فقط .. لكنه لا يتعدى الرغبة

المحصورة في ٣٠ يومًا .
فهذا الزميل الذي بادرني بتحية الصباح وابتسم لي لابد أن يعود إلى سابق عهده بعد انتهاء الشهر . وزميلتي التي ارتدت الحجاب المؤقت أرادت تجنب الإزعاج وإن كانت غير مقتنعة بالسلوك الجديد الذي تبنته .
فكل هذه التصرفات هي لإرضاء الآخرين ومحاولة للتملص من حوار تعلن من خلالها عن قناعاتها وحقها في ارتداء ما تشاء .
ولا يتوقف الحد عند هاتين الحالتين فقط ، فأي سلوك جديد الآن ،صار يتبعه الآخرون دون تفكير،وعندما تتغلب الأغلبية يصبح السلوك أمرًا واقعًا لا مفر منه.
وفي الفترة الأخيرة صارت لرمضان أخلاق خاصة به ،تمامًا كطقوسه، مثل ارتداء غير المحجبات للحجاب فقط فى رمضان، والصلاة فقط فى رمضان، وإمساك اللسان عن الالفاظ البذيئة،أيضًا في رمضان فقط .. وكأن هذه الاخلاق لا تصلح سوى فى رمضان، وأن من يفعلون ذلك لا يريدون تكليف أنفسهم عناء ممارستها خارج إطار الصوم رغبةً فى التمسك بسلوك ما ،دون النظر إلى مدلولاته أو مدى اقتناعهم به. وليست مصادفة أن يتوازى ذلك مع انتشار سلوكيات سطحية يدعي البعض أنها ترتبط بالاسلام ، ولعل هذا المشهد يوضح هذه "الموضة الاخلاقية".
المكان.. مترو الأنفاق ، في عربة السيدات ، زحام فوق العادة بسبب رمضان، فتاة شابة ترتدى حجابا وتجلس تقرأ القرآن باستغراق شديد .تقف أمامها سيدة حامل فى الشهور الأخيرة ، لكن الفتاة لا تلتفت اليها .
في المحطة التالية تصعد سيدة مسنة ولتقف بجوار السيدة الحامل ،وأيضًا لا تعيرها الفتاة انتباهًا ما دفع العجوز الى الطلب من الفتيات الأصغر سنًا بالتخلي عن مقعد ..لكن الفتيات الأصغر سنًا مستغرقات فى قراءة القرآن والاستغفار .
المشهد ليس نادرًا حتى فى غير رمضان ،لكن فى رمضان تغرق الفتاة في قراءة القرآن أو آيات الاستغفار والتسابيح لمحو ذنوبها ، ما يترك لها وقتًا قصيرًا لفعل أي خير .
أخلاق لرمضان فقط باتت موضة تعود مع عودة رمضان كل عام ، فمن الطبيعي أن يكون سكان القاهرة أكثر مودة في رمضان ، ثم يعودون لسلوكهم العادي بعد انتهائه . لكن الخطير هو النظرة السطحية لكل سلوك ،ولأي سلوك ، فالشاب يرفض أن

تقيم أخته علاقة عاطفية يقيم هو مثلها مع فتاة يحترمها، والفتاة المحتشمة فى لباسها تقف لتتبادل القبل مع شاب فى مكان عام، وفعل الخير هو التسبيح لله وحسب وليس مساعدة الغير، والتسامح عن العداوات مطلوب في رمضان وحده!

(٢) دفتر توفير فى بنك الله

دلفت مسرعةً من باب عربة القطار كغيرها من الراكبات ، تختلف عنهن بردائها الأسود الذي يغطيها من رأسها حتى أسفل قدميها ، ولا يبدو منها سوى عينان تبحثان عن شيءٍ ما .

اتخذت مكانها في أكثر العربات ازدحاما وإن كان هذا غير منطقي إذ انه من الطبيعي أن يبحث الراكب عن المكان الأقل ازدحاماً ، إلا ان ذلك لم يلفت نظر أيا من الراكبات فى عربة السيدات بمترو الأنفاق ، ما لفت إنتباههن حقاً هو ذلك الصوت المرتفع الصادر عن الفتاة ذات الثوب الأسود تبتهل إلى الله بهداية الجميع .

لكن ذلك أيضاً لم يكن كفيلاً بلفت الانتباه بالدرجة التي تسعى اليها ، فالراكبات اعتدن على هذا النوع من الفتيات والسيدات ،اللاتي يرتدين الحجاب او الخمار أو النقاب ، ويقمن بتلاوة الأدعية ويطلبن من الراكبات ترديدها ورائهن، لكن ما جذب انتباه الراكبات هو سؤال الفتاة :"هل تردن فتح دفتر توفير عند الله؟" .

جملة كانت كفيلة بجذب انتباه الجميع ..الأمر الذي ارضاها كثيراً وبدا واضحا من عينيها القاسيتين وصوتها الذي صار اكثر قوةً واعتداداً بالنفس .فأكملت :"من منكن تستطيع دفع ٣٠٠جنيه كصدقة يومية ؟"أتاها الجواب" ،لاأحد،

فتابعت "حسناً ،سأدلكن على تجارة رائجة ، انها تجارة مع الله ،مضمونة العائد وستساوى اكثر من الـ٣٠٠جنيه صدقة يوميا، فاذا قمتن بتلاوة الاذكار والتسابيح التى سأرددها الآن فسيعني افكن ستحصلن على مقدار كذا وكذا من الحسنات وستمحى سيئاتكن ، ولكن اذا اردتن ان يكون ذلك مجدياً عليكن المداومة عليه ، فل بد من المثابرة حتى تؤتى التجارة ثمارها.وبدلاًمن اضاعة الوقت الذى يمر فى مترو الأنفاق دون فائدة، فهذه افضل طريقة لاستثماره ،وهذه هى التجارة الحقيقية والاستثمار الامثل" . هنا تأكدت ذات الثوب الأسود أن الجميع يعيرها كل الاهتمام ،

فأخذت تردد الادعية والتسابيح والاذكار ،والراكبات يرددن وراءها ..

ذوات النقاب والخمار يدعمن "أختهن فى الله" ،وذوات الحجاب والملابس الضيقة يكملن طقسهن الديني ويعوضن عن عدم الاحتشام الكامل ، وغير المحجبات يرغبن فى تأكيد انهن لسن أقل إيماناً وربما خوفاً من نظرات الاستنكار التي ستطالهن إن لم يفعلن ذلك ، الكل يتاجر مع الله طمعاً فى استثمار دون جهد ، "سمسرة"دينية أو ربما مقامرة فى "يانصيب" شرعى.

لكن ذات الرداء الأسود لمحت متمردةً خارج نطاق القطيع ، والمفارقة انها تجلس خلفها لكن ذات الرداء الأسود لم تلمحها من البداية لأنها كانت منشغلة تماما بما تفعله ،استمرت فى ترديدها للأدعية التى يرددها خلفها الجميع لكنها ركزت بصرها على الفتاة التى نظرت إليها بتحدٍ متجاهلةً إياها ومستمرةً فى تأمل ما يجري لتعود إلى قراءة كتاب كان فى يدها .

اغتاظت ذات الرداء الأسود ورفعت صوتها أكثر ثم أوقفت الدعاء وأكملت وعظها بضرورة الالتزام بما تفعله ، إلا أن الراكبة تجاهلتها تماماً واستمرت بقراءة كتابها حتى غادرت .

ظاهرة الدعوة الدينية من خلال عربة السيدات في مترو الانفاق قاربت على عامها الثاني ، وتزداد شدةً مع بدء العام الدراسي ، حيث تصبح فيه العربة اكثر ازدحاماً بطالبات الجامعات .

كما أن كثير من هؤلاء الداعيات هن طالبات جامعيات ايضاً ، وهؤلاء يستخدمن خطابا مستفزا وتحريضيا على نبذ الآخر ، ويشعن على الدوام جوا متوترا في العربات ،لكن لا أحد يتعرض لهن ، لماذا؟ لا أحد يعرف ..ربما أن ذلك من تأثير مد التدين الشكلي السائد فى المجتمع المصري منذ فترة ، ولكن يبقى السؤال لمصلحة من يفعلن ذلك ؟ وهل الهدف دينى بحت ؟ ولماذا يبدين وكأنهن في تنظيم واحد يجمعهن فما ان تغادر واحدة منهن محطة ما تأتي أخرى كى لا تمر محطة واحدة دون وعظ.

اسئلة كثيرة ..وإجابات غائبة !

(٣) سافرة فى شوارع القاهرة

«سافرة».. كلمة لطالما كرهتها، وقعها في أذني يتطابق مع لفظ سباب معروف، لكنها للأسف كلمة صرت أسمعها كثيراً في شوارع القاهرة..

ظل الحجاب في مصر يبدو كفعل اختياري، الى أن ازداد انتشاره بصورة مذهلة فصار أقرب إلى الفعل الإجباري، ويبدو أن الممثلة المصرية "حنان ترك". المتحجبة حديثاً . لم تخطئ كثيراً حين قالت إن ٨٥٪ من فتيات مصر محجبات، ورغم أن لا إحصائية رسمية أو غير رسمية تقول ذلك، إلا أن حديثها قد يبدو صحيحاً إلى حدٍ كبير، فزائر القاهرة قد يعتقد أن النسوة هنا اخترن الحجاب زياً رسمياً موحداً.

"فريدة" شابة جميلة تعمل في منظمة غير حكومية، بلغت السادسة والعشرين مؤخراً، وتحجبت مؤخراً أيضاً. تؤمن بزواج الصالونات، رغم أنها فتاة عاملة، لكنها من أسرة تقليدية. هي من انصار الحب الذي يأتي بعد الزواج، لذا فإنها دائماً ما تصادف شباناً يرغبون في زواج مرتب عن طريق الأهل، ورغم أن "فريدة" لم تكن قد ارتدت الحجاب بعد، إلا أنها كانت تهتم كثيراً بأن تسأل العريس الشاب إذا كان يوافق على حجابها بعد الزواج، وغالباً ما كان يرفض العريس، لأنه اختارها بالأساس غير متحجبة، فيكون ردها رفض الزواج، لأن الرجل الذى يقبل بسفور زوجته هو "رجل لا يمكن الشعور معه بالأمان" على حد تعبيرها. لكن "فريدة" تعتقد أن الأمر سيكون أسهل من الآن فصاعداً، بعدما صار يغطي رأسها القماش.

وكاعتقاد شائع للغاية، لا تجد الفتاة غضاضة في تغطية رأسها بعد الزواج، لأنها لن تحتاج أن يراها أحد كإمرأة جميلة، باستثناء زوجها. كما أن ذلك سيوفر عليها كلفة تصفيف شعرها لإرضاء المعجبين.

"داليا" ستبلغ التاسعة والعشرين قريباً، فتاة تضج بالحيوية والإقبال على الحياة، ارتدت الحجاب في أول أعوامها الجامعية، ثم خلعته عقب تخرجها، بعد سفرها إلى الخارج الذي غير رؤيتها للحياة ولأنها موهوبة للغاية في مجال الإعلام، فإن اهتمامها بشكلها هو من أهم شئونها الخاصة، وهو ما كانت تبرع فيه بالفعل.أحبت "داليا" شاباً وسيماً وطموحاً مثلها.. تزوجا وانطلقا في دنيا "الميديا" الواسعة، إلى

ان واجهت زوجها أزمة كبيرة عصفت بكل ما أنجزه مهنياً، فدخل في حالة من الاكتئاب الشديد، واكبتها حالة من التدين المفاجئ، أثرت على "داليا" ودفعتها إلى التحجب مراعاة للتغيرات التي يعيشها زوجها، في وقتٍ كانت تستعد فيه لعمل "new look" للحصول على وظيفة كمراسلة تليفزيونية في فضائية شهيرة. كان حجابها مفاجئاً حتى لأقرب صديقاتها، لكنه زاد من تواصلها مع زوجها الذى شعر بأنها على استعداد لفعل اى شيء لأجله حتى لو كانت الوظيفة التي لطالما حلمت بها. مرت سنوات وخرج الزوج من أزمته النفسية وعاد لتألقه المهني، ثم بدأ يطلب من "داليا" أن تعود لسابق عهدها وتهتم بمظهرها، وعندما فعلت ذلك، طلب منها بوضوح ان تخلع غطاء رأسها لأنه لم يعد يحبه، ورفضت بشكل قاطع لأنها تعتقد أن الله قد اكرمهم بحجابها لذا فلن تخلعه أبداً، إلا انها تعترف بأنها تفكر في ذلك بعد أن علمت ان فتاةً أخرى تحوم حول زوجها!

مصير السافرات

"السافرات مصيرهن جهنم".. "أختى السافرة راجعى نفسك قبل ان تدخلى قبرك" هذه جمل مكتوبة في ملصقات تنتشر في الشوارع ووسائل المواصلات العامة، خاصةً عربات السيدات في مترو الأنفاق، وهى ايضاً عبارات ترددها بصوتٍ عالٍ فتيات يرتدين النقاب أو الخمار في تلك العربات، ويوجهنها إلى كل فتاة لا تغطى شعرها، وتكثف هذه الحملة في بداية موسم الصيف حيث الملابس المبهجة، وأيضاً خلال شهر رمضان، لكن في رمضان قليلة للغاية هى نسبة الفتيات المسلمات اللاتى لا يغطين شعورهن، وتتعدد الأسباب وراء ذلك: "ماجدة". ٢٨ سنة وتعمل محامية، اختارت رمضان كبداية لمشروع حجابها، فإذا اعتادت عليه ستكمله بعد رمضان. أما "منى". ٢٧ سنة وتعمل كمديرة مكتب لرئيس مجلس إدارة شركة استثمارية. فتقول إنها تتقي شر نظرات الناس لها في شارعهم، فهم يعرفون أنها مسلمة، لذا فهي ترتديه في رمضان كي تتجنب مواجهات لا داعي لها.

موقف ذكوري

أما موقف الرجال من هذه المسألة، فله عدة أوجه. بالطبع يعتقد الأغلبية بوجوب التحجب، لكن المسألة تخطت ذلك. فمنذ فترة طويلة، أصبح للفتيات مراكز قوى أكبر في العلاقات الخاصة، لأسباب عدة أهمها: اعتماد الشابات على انفسهن مادياً

قبل الزواج وبعده، وقابل ذلك إحساس ذكورى بضعف في العلاقة وثقة أقل في النفس (وهو ما لفتت النظر إليه دراسة أجرتها أستاذة الإعلام في كلية الآداب عزة عزت لكن جاء الحجاب ليرسخ سلطة ما للذكر، فالشابة قد ترتدى الحجاب بإرادتها ثم تجد أخوها أو حبيبها أو خطيبها أو زوجها، يتحكم في طريقة إرتدائها له، كأن يطلب منها عدم وضع مساحيق التجميل، أو عدم ارتداء البنطلون، أو تغطية رأسها حين تفتح الباب، أو رفض رجوعها في ارتدائها بعد فترة، وغيرها من السلوكيات التى تعطى للذكر سلطةً ما على الأنثى، وذلك تحت شعار أنه سيحمل ذنبها وسيحاسب على افعالها، بل ويعترف كثير من الشبان أن طلب ارتداء الحجاب من الفتاة، هو بالونة اختبار لمدى طاعتها له!

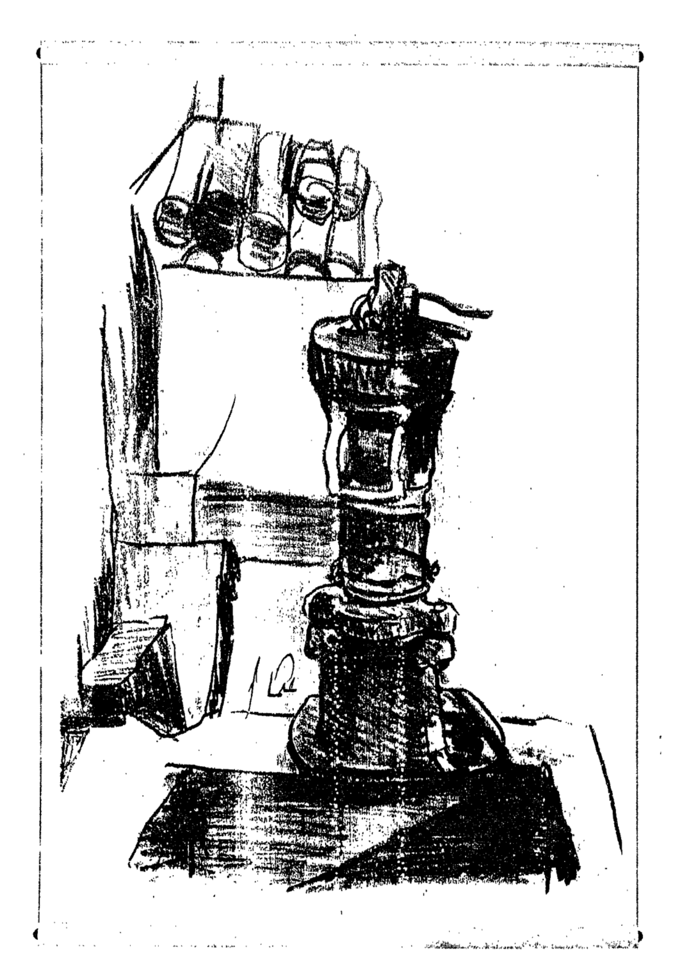
"ماهر" في الثالثة والثلاثين من عمره ويعمل كمراقب شاشات في كازينو فندق شهير، تعرف منذ خمس سنوات على فتاة وجد فيها كل ما يحلم به من مواصفات لكنها لم تكن محجبة، وسألها إذا كانت سترتدى الحجاب فيما بعد، فأجابت بالنفي فأخبرها ان ذلك شرط الاستمرار في العلاقة لأنه يرفض الزواج بإمرأة سافرة فما كان منها إلا ان رفضته بدورها. لكنها هى نفسها تزوجت بآخر وانجبت منه، ثم ارتدت الحجاب على غير رغبة زوجها، وتسبب ذلك في مشاكل كثيرة معه، لكنها تصر على الحجاب حتى الآن، وتعترف أنها من البداية كانت تنوى أن تتحجب في وقت ما، لكنها ترفض أن يجبرها أحد على ذلك. أما "ماهر" الذى ضحى بعروس يحلم بها فقط لأجل الحجاب، فقد تزوج بأخرى لا تحمل الصفات نفسها، وليست محجبة! و على الرغم من انتشار غطاء الرأس لدرجة انه بات هو الأصل ودونه الاستثناء؛ إلا أن ما يحدث منذ أقل من عامين، هو أمر لافت للنظر للغاية، حيث تسود أجواء من اعتماد الموضة عبر بنطلونات شديدة الضيق، وأخرى قصيرة، وبلوزات ملتصقة بالجسد ويتم ارتداء أخرى فوقها تشبه الى حد كبير بلوزات مطربات الفيديو كليب، وتقلص غطاء الرأس إلى مجرد إيشارب يربط من الخلف ويظهر جزءا من الأذنين وكل الرقبة، وكلها أزياء لافتة في موضتها العصرية، لكنها تنضوى تحت مسمى الحجاب. والفتاة التى ترتدى الملابس نفسها دون غطاء الرأس تسمى "سافرة" وتلاحقها معاكسات المارة، واستنكار الجيران وزملاء العمل، في حين أن اغلب الفتيات اللاتي لا يرتدين غطاء الرأس هن أكثر بساطة في مظهرهن، ولا

يتعمدن المبالغة في الزينة بسبب طبيعة الحياة العملية في القاهرة.
وتعترف بعض الفتيات انهن يردن نزع الحجاب لكن ذلك ليس هيناً خوفاً من استنكار المجتمع، وأنهن يعوضن ذلك بالمبالغة في الزينة، فكل واحدة منهن تريد أن تثبت انها جميلة، وتعوض شعرا غائبا بزينة جسد بأكمله.

(٤) حجاب فوق الركبة

جاء الصديق الأوروبى. والذى لم يزر مصر منذ فترةً طويلة. فى زيارة سريعة ، لكنه لم يبدأ حديثه بما جرى فى حياته خلال السنوات الماضية من إنجازات وإحباطات ، ولم يسألنى عما حققته أنا أيضاً ، فقد بادرنى بتساؤل غريب: "الحجاب انتشر فى مصر بصورة كبيرة ..لكنه موضة أليس كذلك ؟".

فى بداية فصل الصيف ، رسم فنان الكاريكاتير المصرى المعروف "مصطفى حسين" رسماً كاريكاتورياً فى الصفحة الأخيرة من جريدة الأخبار،وضح الرسم أجزاء علوية لفتيات محجبات وسافرات ،وفى النصف الثانى من الرسم بقية أجزاء أجسام الفتيات والتى بدت بملابس ضيقة أو قصيرة ،وفى النهاية وضع سؤالاً حول قدرة القارىء على اختيار أى جزء علوى يناسب الجزء السفلى . وقد تم نشر الرسم مرةً أخرى بعدها بعدة أيام بناءً على طلب القراء.
منذ أكثر من عشرين عاماً عند بدء انتشار الحجاب فى مصر ، كانت الفتاة المحجبة هى فتاة فى غاية الحشمة ، لا يظهر من شعرها أى شىء ، وملابسها فضفاضة وطويلة ، وقد كانت ملابس قبيحة إلى أبعد درجة ، ولكن مع انتشار الحجاب بصورة سريعة بعد الغزو العراقى للكويت ، نتيجةً لحالة الإحباط العام التى أصابت المصريين ، وتوغل التيارات الدينية المتشددة ، صار هناك "بيزنس" لملابس المحجبات ، بداه بعض التجار ، ثم أصبح تجارةً رائجةً لعدد كبير من الممثلات والمذيعات اللاتى اعتزلن وتحجبن ، وحينها صارت ملابس المحجبات أكثر تنوعاً وإغراءً ، حتى إن بعض الفتيات يعلن بوضوح أنهن يرتدين الحجاب لأنه أكثر أناقة! ..وفى الواقع هذه المسألة صحيحة إلى حدٍ كبير،فالعناية بالشعر باستخدام

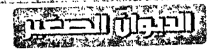


مستحضرات جيدة ،والذهاب إلى "الكوافير" مكلف للغاية وفوق قدرة أغلب الفتيات المادية ، خاصةً وأن الفتيات المصريات لا يعترفن بأن شعرهن الأسود المجعد جميل ولا يتقبلنه على حالته ؛بل يفضلن تلوينه وفرده ليغيرن من طبيعته ،وهذا بالطبع مرهق ومكلف ويضر بالشعر إلى أبعد درجة . أما وضع الإيشارب فقد صار له سحره ،وليست مصادفة أن ترتفع مبيعات مستحضرات التجميل ويصبح مرأى الـ" makeup " شيئا عاديا ليلا نهارا ، فى الحر أو المطر! فالفتاة التى تتنازل عن شعرها ترغب فى أن تؤكد جمالها بالتكلف فى استخدام المساحيق!

ويصبح مرأى المشاهد التالية شيئا يصدمك ..ولكنك ستعتاد عليه ..بعد أن تتأكد بأن هذا هو المعتاد : فتاة ترتدى الحجاب وتلبس تنورة قصيرة ، ترتدى الحجاب وتنورتها لها فتحتان تبرزان كل ساقيها، محجبة ببنطلون شديد الالتصاق بجسدها حتى أنك تحتار كيف إرتدته ،حجاباً يشبه سيدات العصر المملوكى يبرز من مفاتن الوجه أكبر مما يخفى ولو أن الفتاة تركت شعرها لينسدل لن تكون أبداً بمثل هذا الإغراء، إيشارباً على الرأس مع بروز نصف الشعر وتصفيفه ليبدو ملوناً ومنسقاً وكأنها تقول :لا تظلنوا أننى بلا شعر! أما الشىء الذى اقترب من العرف ، فهو أن فتاةً محجبة تنزع الحجاب فى "المصيف" لتستمتع بالبحر والهواء !

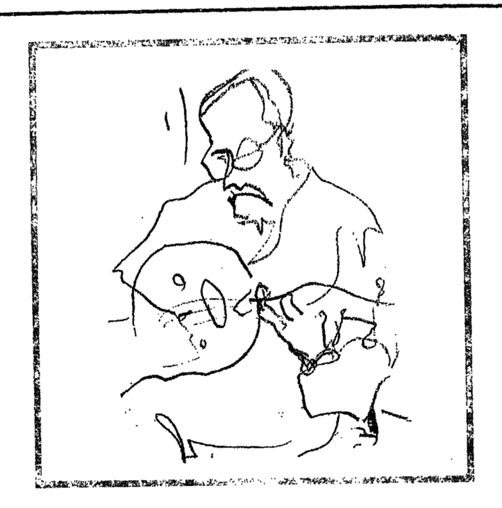
ولم يخطىء الصديق الأوروبى حين قال أن ما يراه هو موضة وليس احتشاماً ، فلا علاقة بالاحتشام ،رغم أن الفتيات يبتكرن أساليب غريبةً للتحايل على الملابس التى لا يستطعن إرتداءها ، ففى مصر وحدها ستجد فتاةً ترتدى بنطلونا وفوقه تنورة ،وبلوزة بدون أكمام فوق أخرى بأكمام ، ليصبح الأمر فى النهاية مضحكاً ..ومغرياً!

وربما ..بل المؤكد ،أنهن فتيات يردن أن يشعرن بأنوثتهن ، التى يسمعن فى كل لحظة أنها عورة وتستحق التجاهل،لكن غريزتهن تمضى عكس ذلك : إنها إزدواجيتنا العربية العتيدة ..تجاهل ولا تواجه!



الديوان الضائع

مختارات من ديوان «الأغنية» للشاعر حسين عفيف



إعداد وتقديم: نبيل فرج

انثر شعرك بلا نظام،

فنجوم السماء مبعثرة.

وشاردة تنمو الغصون فأرسله حراً،

ولا تلتزم فيه شكلا..

لتكون كل الأشكال له»

حسين عفيف

«الغدير» ١٩٦٥

المقطوعة رقم ١٢٣

لم يصدر القانون الخاص بالمطبوعات المصرية، الذى ينظم إيداع الكتب فى دار الكتب القومية إلا سنة ١٩٥٤.

فى هذا القانون رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤، الذى وضع لحماية الملكية الفكرية، تنص المادة ٤٨ على أن يودع الناشر عدداً من النسخ من كل كتاب مطبوع فى دار الكتب.

ومنذ هذا التاريخ أصبح من الممكن أن نعثر على كل ما صدر فى مصر من الكتب بقدر التزام الناشرين بهذا القانون.

أما قبل هذا التاريخ فلم يكن إيداع الكتب فى دار الكتب يخضع إلا لرغبة الناشرين أو المؤلفين وحدهم، الذين يدركون قيمة حفظ هذه الكتب من الضياع والاندثار، ويتوقف على مدى رغبتهم فى تمكين الأجيال المعاصرة والتالية من الاطلاع عليها، حفظاً لذاكرة الأمة، ومجدك الكتابة.

وعلى هذا الأساس ليس غريباً الا نعثر فى دار الكتب على كثير من الكتب التى صدرت قبل ١٩٥٤، لأنه لم يكن هناك قانون للمطبوعات يفرض هذا الإيداع فى المكتبة الوطنية.

ولهذا فإن إعادة طبع الأعمال الأدبية الكاملة للكتاب والشعراء، التى صدرت طبعاتها الأولى قبل ١٩٥٤، تجد صعوبة بالغة فى العثور عليها، تشبه صعوبة البحث عن المخطوطات والحفريات، وتكاد تكون أحياناً فى حكم المستحيل، فى حالة وفاة هؤلاء المؤلفين، دون أن يتركوا وراءهم أحداً يهتم بآثارهم.

وهذا ما حدث مع الشاعر حسين عفيف الذى أصدر المجلس الأعلى للثقافة فى ٢٠٠٢، أعماله الشعرية والنثرية الكاملةفى ثلاثة مجلدات من إعداد وتقديم عبد العزيز موافى، ، وهى فى المجلد الأول خمسة دواوين لم ينشر منها غير ثلاثة هى: «الزنبقة» ١٩٣٨، «البلبل» ١٩٣٩، «العبير» ١٩٤١.

أما «مناجاة» ١٩٣١، و«الأغنية» ١٩٤٠، فلا وجود لهما.

ويتكرر هذا النقص أيضا فى المجلد الثالث الخاص بالأعمال النثرية الكاملة التى تفتقد كتاب «البطالة» الصادر فى ١٩٣٦، وأعيد طبعه بنصه الكامل فى العدد الرابع من مجلة «الديمقراطية» فى أكتوبر ٢٠٠١.

•••

و«أدب ونقد» تقدم إلى القراء، فى ذكرى ميلاد حسين عفيف الرابع بعد المائة نخبة مختارة من أحد هذين الديوانين الضائعين، وهو ديوان «الأغنية» لصعوبة نشره كاملا فى مجلة شهرية، آملة أن يكون لدى أحد المثقفين او تجار الكتب القديمة ديوانه الآخر «مناجاة» حتى تكتمل للشاعر حسين عفيف أعماله الشعرية، كما تكتمل أعماله النثرية.

وحسين عفيف (٦ ديسمبر ١٩٠٢ - ٦ يونية ١٩٧٩)، كما يطالعنا فى دواوينه، شاعر وجدانى يستقى أغانيه وينضدها من ذاته ومن الطبيعة البكر ومن الخيال، ولا يعود إلا وراء الجمال.

ومع هذا فما أعمق وعيه وأرهف حسه بمكونات الوجود وحركة الحياة!.

وما أروع تقديره للجمال الأنثوى الذى يبهر العيون فى عرشه وتيهه.

من أجل هذا الجمال الأمضى من كل سلاح، لا يجد الشاعر حرجاً فى أن يقف على بابه وقفة الشحاذ، أو يجثو أمامه ساجداً، ويعفر جبينه تحت أقدامه، لأنه، وإن بدا خابياً فى ذل الفقر، يلبس الثياب الرثة والأسمال البالية، فوق كل سلطان، وفوق كل حكمة..

يتألف الوجود فى نظر حسين عفيف من الفكر والعاطفة، ومن الجسد والروح.

وانطلاقاً من أن الجسد هو الذى ينبئ عن الروح، فلا عشق للروح بعيداً عن اكتمال الجسد، وهذه من حسية الشاعر. ولا اندماج بين المحبين إلا فى الدنيا.

وسر النفس لا ينفصل عن سر الكون، لأن القلب هو لب الوجود، فإذا انفصل

القلب عن الكون اهتز وجوده، وشعر بالوحدة.

وليست هناك سعادة لا تنتهى بالحسرات، ولا لذة لا يتبعها ألم ولا سامر لا ينفض، أو صحو لا يغمض، أو نار لا تنطفئ. كما أنه لا خمائل لا تتناوح فيها الريح وتنعق على أطلالها الغربان، ولا أعشاش لا تخلو من طائريها، ولا فجر ونهار بدون مغرب ودليل..

ورغم هذا الشجن الذى يسرى فى أشعار حسين عفيف ففى الليل والأطلال والصمت من السحر والجمال ما لا يقل عن جمال الفجر وضجيج الحياة.

وإذا كان الناس يتفرقون بين الرابية والسفح، فإن روح العدل التى تشبع بها هذا المستشار، حسين عفيف، تتبدى بوضوح فيما يقوله فى أشعاره من أن الشمس لا تحجب شعاعها عن أحد، وتظللهم جميعا سماء واحدة لا تفرق بين راع وملك. والطيور تغنى للجميع، وزهور البرية تتسلق القصور والأكواخ على حد سواء.

وحتى تصبح الحياة عادلة يحذر حسين عفيف من الشراهة التى تحرم الآخرين حقهم فى القوت، ومن الترف وليس الخز دون الغير، لأن الغنى والفقر، أو التخمة والحرمان، يؤديان إفساد الخلق إما بالبطر أو بالحد. ويطالب الأثرياء بدفع الضرائب التصاعدية حسب دخلهم كحق للأمة، وليس كصدقة لها.

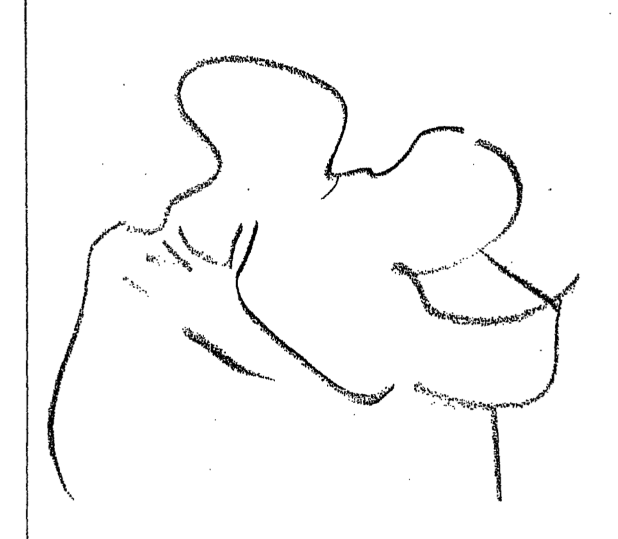
أما العتاة الذى يعجز البشر عن كبحهم فيد الدهر تتكفل بهوانهم.

وسنة الحياة وسمتها عند حسين عفيف الصراع والحركة والتجديد الذى يزعزع القديم ويرسى الجديد.

إن الفصول تتغير، وثوب الزمن يبلى ويتبدل، ومع هذا التبديل الذى يكون التاريخ والعراقة نفقد بكارتنا الأولى، ويباد الأخضر واليابس، وتدول الدول عبر طوفان السنين، ما بين الحروب والأوبئة وثورات الطبيعة، ولكن تبقى الغاية فى الحياة ثابتة: تواصل البقاء، والتطور، والرقى.

وليس من السهل حصر الأفكار والمعانى الإنسانية التى تشكل مفهوم حسين عفيف للفن والجمال، وتؤكد تشدده فى تقييم الإبداع، وحكمته، وروحه الشرقية.

ويمكن أن نجمل هذا المفهوم فى اتساع رؤيته اتساع العالم بأجمعه، وفى إيمانه بالكيف لا بالكم، وبأن التركيز فى التعبير يمنح آفاقاً بعيدة لا تحد، تتحقق بالرمز الذى يلم الشتات، لافى التفاصيل وفضول القول، وبالاتساق والتوازن بين



العناصر المختلفة، لا بالتنافر وعدم الانسجام بينهما.

ولا ينبع الشعر من الأوزان الخارجية لعمود الشعر، وكان قادراً عليه، وإنما ينبع من باطنه فى قصيدة النثر أو فى الشعر المنثور الذى كان حسين عفيف يعد من ألمع من كتبه فى أدبنا الحديث.

ن.ف

مــا هو عـطـر بـنـفـسـج، ذلك الـذى يـنـفـح مـنـك. ولا هـو عطر فل أو ياسمين.

ولكنه عطر زهـرة مـجـهـولة، تـنبت فـى روض حـسـنـك. عطرك أنت.

ينفخ من فـمـك . ويضوع من شـعـرك، ومن غض إهابك. رقيقاً كالحلم، خفيفاً كالنسيم. يوقظ بفؤادى حناناً مسكراً، ويعود بروحى إلى مواطن مسحورة.

وردة أنت تنفح شذاها من زرّها وتأبى أن تستعيره.

وردة أنت لولا أنك من الورد أجمل وأطيب عرفا منه أو غـزال أنت عـمـيـقـة فـيـه. لـولا أن مـسـكـك من مـسـكـه أذكى.

لكم أخـاف عليك من عـبـقـك هـذا، وأخـشى أن يـرديك مجنونة! كيف أنه لا يجن حامل العبق ليل نهار؟ كيف، ويحتمل سكراً لا تفيق نهاه منه؟

صـدقـيـنـى لم أعـد لنزقك أعـجـب، ولا لخفة حـركـاتك. من كان هذا الخمر فيه، ما له وللوقار؟ ولم لا تكون له رعونة الغزال ورشاقة لفتاته؟

لـم لا يـكـون كـظـبـى الأكـم، حـــامـل المسك فـى دمـــــه، والمستجير من فرط حلاوة فيه؟

• • •

كأنى بسـاقيك عمـودا رخـام أقيـمـا فى هيكل حـسـنـك، وكأنى بقلبى ذلك الراهب الذى يتبتل فيه ويحرق تحت قبته البخور.

لولا أن صلواتى إطراءٌ خـالصٌ لحسنك، وبخـورى من القلب سحقته وليس من الصندل والزعفران.

وهكذا أخـتـار لنسكى مـعـبـدك، ولصلواتى تمثالك، يا

إلهى الصغير!

وكما يطوف الوثنى بأصنامه ليل نهار، يطوف فؤادى بقدميك المعبودتين، ثم يخر عندهما ساجداً وهو قرير.

•••

ما أشبه بنانك الوردى بزر وردة بدت تباشير أوراقها فى البكور.

وما أشبه خدك بهذه الوردة وقد نضجت وزها لونها.

وما أشبه أظافرك بأشواكها المرهفة، التى تجرحنى فى قسوةٍ محببة، كلما بدا لى أن أقطفها بفمى.

•••

كأنى بقدك غصن ممشوق، ونهديك فاكهته.

وكأنى بوجنتيك وردتان أطلتا عليهما من ربوة دانية. وعينيك بحيرتان عميقتان قد سجت فوقهما من أهدابك الكثيفة ظلال. ونظراتى طيور الماء المصفقة، التى ترفرف على سطحهما.

وكأنى بقلبى ذلك البستانى الذى يروى هذه الحديقة بدمعه، ويجمع بين حينٍ وآخر جناها ويشكرك.

•••

ما نحن إلا شمعتان محترقتان على هيكل حب عذرى.

وما قلبانا إلا ذلك الزيت السحرى الذى يحترقان به، وقبلنا غير تلك الشرارة المقدسة التى تضرم فيهما النار.

ولكن على الرغم من أننا نعيش على هيكلنا هذا إلى حين، ثم نموت بحبنا المضنى قصيرى الأجل، ما كان

يمكن البتة أن نسطع مثلما نسطع الآن فى عمرنا هذا القصير، وقد لمسنا فيه ذلك اللهب المقدس.

•••

إنى لأعزف محاسن وجهك على قيثارتى، فتخرج منها أغنيةً حلوة، تمرح فى هذا الفضاء مع النحل والطير والفراش.
وكلما مرت فى طريقها بحقلٍ أو غابٍ أو جبل، قصت عليه أنباء حسنك، حتى غدت معروفة فى كل نجع.
إن خدك لم يتورد، ولا زان عينيك ذلك التيه، إلا خجلاً لجمالك الذى فشا سره فى كل مكان.
ومع ذلك فما أراك إلا تنكرين على أنى شهرت أسمك، وإن كنت فى قرارة نفسك تطربين لهذا أيما طرب.

•••

سجا الليل وآن لى أن أغازلك بأنغامى. لقد ذاق العاشق فى كأس حلاوتك، وحق للشاعر فى أن يذوق نصيبه.
على بمزمارى المواتى، وبأكليل الزهر فطوقى به هامتى. ثم أهبطى الحديقة ودعينى فى البرج وحدى.
أهبطى حيث الزهور تحف بمقعدك، وشعاع القمر يتوج رأسك الذهبى، فتبدين كأميرة على عشرها استوت، ومن حولها جواريها واقفات.
وهناك وأنت فى بلاطك، لسوف تنحدر إليك أنغامى على متن النسيم، فتبدو وهى تلمس قدميك الجميلتين، كعبد مثل بين يدى مولاته، فانحنى حتى

مس جبينه التراب.

اهبطى الحديقة، وخلينى وحدى. إن فؤادى لتجيش به أشواق جمة، لا أستطيع التعبير عنها إلا عندما أخلو إلى نايى، أبثها إليه فيترجمها لك فى نغم.

لن أشكو بعادك، مادمت سأشدو لك فى وحدتى. بل إنى لأحس دنوك منى، قدر ما أحسه فى وحدتى هذه المقدسة. عندما أمزج شوقى وجمالك فى كأس واحدة شرابها من نغم حنون.

• • •

أدركى الشادى، فلقد كاد أن يغرق فى موجات النغم.

عواصف فتنتك، حولت أغانيه إلى بحر خضم.

مسكين هو وسط هذه الزوبعة! يكاد زورقه أن ينقلب وهو يكافح الموج.

ولقد مزقت شراعه الأعاصير وعطلت دفته.

أى ربان! أفلت منه زمام سفينته! انظريه عند صاريها واقفاً يجاهد، وقد لطخ الزبد ثيابه، وحلت شعره الرياح وعبثت به.

ويا ليت أن الكفاح كان بذى جدوى! إنه وسط اللج العجاج. وسفر طويل ما يزال بينه وبين الشاطئ.

وأى شاطئ؟ إنه نفسه لا يعرف متى تبدو طلائعه.

ذلك أنه حين يتناول قيثارته ويبدأ فى توقيع محاسنك، لا يدرى متى يضع القوس.

الساعات تمر، ومايزال على أوتاره عاكفاً يستوحيها النغم، وقد هزل وجهه ورقت سماته، واستحال إلى طيفٍ ما يرى منه غير عينين تحكيان ما يكابد من ضنى.

رفقا بهذا الغريق!
تعالى لوحى له بقبلة، علها أن تغريه بأن يمسك ملياً عن الشدو، ويرسو من سفره المضنى على فمك، ذلك المرفأ الذى يلقى عنده السلام.

•••

عنك يا روض الجمال، عنك يا مهد النغم - آخذ معانى وأرجع شدوى.
إنى لأقضى نهارى بطوله أجمع زهرك، وأجتذب الألحان من أوتارك، ثم أعود آخر اليوم إلى أهل القرية وسلالى محملة بالزهر، ونايى يرقص حوله النغم.
نهكت قواى! فى جمع نفائسك!
زهرك لا عدد له. ونغمك بحر خضم. وإنى لينفد عمرى قبل أن آتى على جناك، وأعزف كل أناشيدك.

•••

الأسرار! التى كانت حبيسةً فى فؤادى، استباحها جمالك.
كنوزى سطوت عليها، وأودعتها أغلفة الكتب، مشاعاً لكل إنسان، وتركتنى أعيش بلا سر أحتفظ به.
قديماً كنت زهرة، وعلى عبيرى مغلقة. فنضوت أكمامى ونهبت عطرى.
العصفور الذى كان فى قلبى يغرد، أخذته وفى رياضك أطلقته.
غمامى شتّته فى دموع. ونايى طيَّرت منه النغم فى إطراء حسنك.
ولقد زينت أعطافك بحريرى، وحليت صدرك

بجواهرى. وتركتنى عارياً مجرداً من كل شىء، اللهم إلا من مجدٍ كاذب.

يا للشحاذ الذى يرسف فى أطماره ومع ذلك تعنو أمامه الجباه!

أيها العاقدون على مفرقى أكاليل الغار، خذوا أزهاركم وردوا إلى أسرارى.

إنى رثة ثيابى. وزهركم يموت على جبينى المنهوك فما انتفع به.

ما هذه اللعب، التى ضحكتم على بها، ونهبتم فى مقابلها كنوزى؟

• • •

برجى عاجى. وسائده من حرير، ويتسلق عمده الزهر.

وعندما تزورينني فيه على غير موعد، أطفئ المصباح الأزرق، ونجلس فى ضوء القمر.

عندئذ أطرح ارغنى، وأوقع أناشيدى على شفتيك.

أحلى من زمره قبلنا. وصخب خلاخيلك ووسوسة أساورك. وصوتك عندما تقولين: حبيبى!

وأحلى من وردى عبير أنفاسك. ومن حريرى ملمس يدك.

يا من بز حسنك كل شىء، إنى لأنسى بجوارك كل شىء. حتى عرائس أحلامى، أطلقها حين تكونين معى.

زهرى يخجل منك. وحريرى منك يغار. وأرغنى يحسدك.

أما ترين إلى النرجس كيف انكسف لونه حين رأى خدك؟

وإلى الوسائد كيف تتلوى حقداً تحت ساعدك الملفوف؟
وإلى الأرغن كيف فقأت تمائمك عيونه فبدى مثقبا؟
قسماً بحسنك لولا أننى أحوطك بحبى وأرقيك بقبلاتى، لخفت عليك من كل ما التف حولك. حتى ولو كان زهرة مرموقة، أو فراشة مجنحة فى الرياض.
ولما رضيت لخدك أن يتيه أمام وردة. ولا لقدك أن يميس بين غصون.

• • •

ذا مجدافى فهاك مجدافك. ولنمض بالفلك إلى الشط البعيد.
هناك الظل وارف، وللحمام بأعلى الأيك سجع.
حبذا غفوة على هديله الناعس، تزورنا فيها الأحلام الذهبية! ثم نصحو على هرج الكراكى فى الغروب.
هيا، أعملى المجداف. وغنينى فى سيرنا أغنية ملاح. يسافر صداها فى السكون إلى أراض بعيدة.
هبا وغالبى الأمواج. تلك التى جعلت من فلكنا أرجوحة.
عجب لها! فى النهر راقصة بطرة، وعلى حوافى المجداف دمع!
يا بشرانا! الفلك من الشط دنا أما تطرق سمعك وقوقة البجع؟ وصخب الأوز، ذلك الثرثار؟
ما أجمل نزقه! أنظرى كيف اندفع زمراً فى طيش، وفى النهر غطس!
خلى المجداف. ودعى الزورق يرسو.
أين ذراعك؟ ناولينيه. ولنقفز معا.
سنجلس فوق المنحدر، فى ظل هذا الخيزران. حيث

يتلاقى ماء وخضرة، ومحياك الحسن.

•••

أحبك فى الليل. حين يغمرك شعاع القمر، وظلال الغصون تتيه على خدك.
حين يبدو شعرك كدجنة، وعيناك كنجمتين.
أحبك فى الليل. حين نسرى فى الروض كفراشتين، يحف بنا الزهر، وتزفنا الجنادب.
وحين تصخب فى السكون دقات قلبينا فنجف.
أحبك فى الليل. حين نلج الخميلة فنوقظ الطير الراقد، ونقلق الهوام المختبئة.
ثم نمتزج معاً فى قبلة تدنينا من السماء. وإذا بنا نرى الليل فى مهده، والدرارى فى افلاكها.

•••

عندما نجلس معاً تحت ضوء القمر، أين نكون؟
أرانا نفقد نفسينا عندئذ، فما نعى مما حولنا شيئاً.
فالأشجار الدانية منا، تبدو لنا كأنها اشباح. وأصوات الجنادب المختبئة بجوارنا فى العشب، تطرق آذاننا كأصداءٍ آتيةٍ من بعيد.
وكأن انفاسك عندئذ طلائع نسيم تهب من أصقاع نائية. ولمسات شعرك أجنحة كرى تداعب أجفانى.
فأين نكون؟
أترينا نرقى بقلبينا عندئذ على ذلك الشعاع الحالم شعاع القمر، فنهبط مملكة النجوم ومهد الليل؟
وترين ذياك الليل يسقينا من كئوسه الناعسة ما نغفى به هناك، حتى إذا ما تحركت لنا على الدنيا ذراع أو مال جنب، لم ندر ماذا فعلت أعضاؤنا، ولا درت هى أين منها نكون؟

• • •

أنظرى عبث هذا النسيم! لقد أطفأ المصباح. وها هو ذا يحل غدائرك، ويعابث وجهى بها.

ما ذنبى الآن إذا أنا قبلتك؟ أنت تنهين، ولكن الريح تأمر. ومن يدرينى أنك نفسك لم توحى لهذه النسمة بأن تهب؟

خلى يدك بجانبك. كفانى ما نلت من خمشات الليلة. أيتها القطة البرية. وعلى بفمك.

الريح تغرينى بك. لقد أطفأت النور وهيأت الجو. وأوعزت لشعرك أن يتحرش بى.

• • •

هاجمى فؤادى يا حبيبتى بقوة فتنتك. شتتيه كما يشتت النسيم أوراق الزهرة.

أذريه فى مهب الرياح، واستلى مهجتى. وعندئذ دعينى أجتاز لحظة موت فاتنة.

أين فمك العندمى؟ أتحسبيننى أكره أن أموت دقائق؟ وأنى لى إذن أن أنعم بهذه السكرات؟

عجباً نجزع من الموت، وسر هنائنا فيه!

عندما يرين على أجفانى الكرى، فأرخيها له فى استسلام، أما أذوق بعض الموت؟

عندما أرتد مخموراً على أثر نشقة من عبير، أما أذوق بعض الموت؟

عندما أطبع القبلة على ثغرك فأودعها جانباً من روحى، أما أذوق بعض الموت؟

إيه يا موت! أخطأنا فهمك يا من تتوج كل أمل. يا ذا

القدم الذهبية التى تدوس رغباتنا المورّدة لتعصر منها خمر اللذة! فيك ما نعزوه للحياة من قيم يا أيها العصير الدامى لورود أمانينا الحسان.

أنت يا زهر المنى وجنا غرس الأحلام! يا قاطف ورد الأمل، لتدنيه إلى أنوفنا ننشقه! وهاصراً أوراقه لتضمخنا بعصيرها! يا مشتتا ضباب الأحلام فى قطر نحتسيه! يا مشعل النار فى قصور شهواتنا لتصعدها لنا بخوراً! أنت يا فصل الخطاب إذا طال الحديث، ولحظة الاستقرار لشوق معذب - دعنى اقبل يدك القاسية.

إنا لنبنى من ذواتنا فى لحظات الأحلام بيوت عناكب، ثم نتساءل هل غدت أدنى إلى نفوسنا؟ إلى أن تجئ يا موت وتضرم فيها حريقك، فنجلس نلتهم فى لذة دخانها المسكر. عندئذ ترتد إلينا ذواتنا. وتعود إلينا أحلامنا فى دخان.

لك الله تتغلغل فى كل شىء لتسدى إلينا جميلك! تزور فى أعقاب كل أمل، لتهصر لنا خمرته. وتدب خطاك فى كل إحساس جميل لتدنيه إلى نفوسنا.

عندما نخرج فى الربيع نتأمل كتل العبق المتهادية فى خفاء. عندما نستمع إلى نقرات الماء فى يوم ممطر. عندما نجلس فى الأماسى المقمرة نحتسى الكأس أو نخطف قبلة من حبيب- تأتى إلينا طى هذا الجمال، لتخدرنا ذلك الخدر المقدس، الذى يفتح له قلوبنا.

ما أسخى يدك، لولا أن الأسى يكمن فيك! قصير هو حريقك. وما إن يخمد حتى يهمد معه كل شىء. وعندئذ لا قصور ولا دخان. وإنما هشيم مكتئب.

حسرة تعقب موكبك. وفى معناك يكمن كل أمل وكل

نسيان. ألسنا نشيع فى سكراتك اللذيذة أحلامنا؟ ألا تسير هى طى الدخان إلى حيث لا أحد يعلم؟
ولكنك مع ذلك محبب. يا حلوا فى مرارتك!
غير أنك عندما تأتى لتحصد كل شىء.. عندما تستل منا المهجة حتى الذماء - عندئذ تكون بغيضا. لا لأن القبح من صفاتك، وإنما لأنك تطفئ فينا مصباح الحياة، الذى نتبينك على ضوئه.
نعم. إن الحياة إلا نور مسخر لك. غير أنك بدونه لا شىء.
فعندما تزور زورتك الأخيرة. عندما يبدو لك ان تطفئ المصباح - عندئذ ينتابنا الهلع. الهلع عليك أنت. لأننا ما نعود نراك.

•••

لكم خزنت بقلبى من لحظك شعاعاً، لو أتيح له أن يحل محل الشمس لأضاء على العالمين بدلاً منها.
وخبأت فيه من شعرك الفاحم ظلمات لو أنها إلى الوجود خرجت، لأخلى لها الليل مكانه لتسدل سترها على العاشقين عوضاً عنه.
وكأى من ورد من فمك قطفته، يزدحم بقلبى حتى لكأننى أسير وبين جنبى بستان!
ونغم من صوتك سمعته، يتجاوب فيه حتى لأحسبنى آوى بلابل الأرض طرا.
لقد، خلعت على بهواك دنيا بأسرها. أتنقل فيها، وأطير مجنحاً فى سمائها كما يطير عصفور الروض الطليق.

•••

عندما تمنحيننى القبلة الغالية، لا تدرين أنك تضعين فى يمينى الدنيا كلها.

إنك تجهلين قيم عطاياك التى تغدقينها على فى سذاجة وسخاء.
إنك وردة مغمضة لا ترى ما تجود به. ولكنها تستطيع أن تمنحنا أضعاف ما تمنحنا إياه عندما تتفتح وتنهب عطرها النسمات.

•••

زوجوها من صاحب ضيعة، وحامل لقب ووسام. وتركوا محباً لها عقد الجيل على رأسه للشعر تاجا.
تركوا محباً إن شدا رقصت قلوب وإذا بكى ذابت مهج.
تركوه مَن مِن شعره نشقوا العطور أسمعوا الناى يترنم.
من رقى بهم على متن الخيال إلى حيث الزهر فى روضه والطير فى فننه.
من رقى بهم على متنه فأراهم القمر فى مهده يحبو، والدرارى فى الأفلاك تسبح.
من سرى بهم إلى سدة الغيب، وأراهم من السماء الروح السرمد.
وأراهم السفن تشق فى البحر العباب، والقوارب فى أنهارها تتهادى.
كم حسوا من خياله كئوس سلافٍ، ثم غابوا فى أحلى نشوة!
كم غفوا فى شدوه بنومٍ رغيدٍ، ورأوا فيه أحب الرؤى!
ورنوا فى فنه لألوان ائتلفت وعقود در نضدت!
وكأى من طاقة من زهور الشعر أهداهم، وطيور من شوارد الفكر لهم قنص!
ولكم أسا بنهم من جريح فؤاد، وكفكف من دمع

موجع!

ورقى منهم من عاشق مجدود، وزف منهم فى الليالى من عروس!

وحين جاءهم اليوم يطلب وديعةً له، هى فى شرعهم ملك لهم، وفى شرع الغرام ملك فؤاده، أغلقوا أبوابهم فى وجهه، وحرموا عليه ما حلله له الهوى. منكرين ظلماً مواهبه، مؤثرين عليه امرءاً لم ترق فى عينه نفسه فالتمس لها الزينة فى عروض زائلة، وأحس بها خفضاً فحاول أن يعلو بها على أجنحة مظهر كاذب. فكان كالدميمة إذ تضع على وجهها الأصباغ لتعوضه عن جمال حرمه، وكالضفدعة إذ تشب لتحاكى طير السماء.

يا حيانا الله من شعراء نزوهوا عن أن يستعيروا زينتهم ويلفقوا مجدهم. وتعالوا عن أن يمدوا أيديهم بالسؤال، وتلك ثروتهم كامنة فيهم. فى الحس اللطيف، فى الذوق السليم، فى النبوغ، فى العبقرية.

إنا ثروة بنفسها قائمة. إنا لا نزين بما ليس فينا. إنا نحن السادة، وطلاب المظاهر هم العبيد. ذلك أنهم مدينون لها ماداموا بذواتهم أصفارا.

وإنهم ليفوزون إن فازوا بها، ثم ما يبرحون لا شىء. لأنهم ليسوا الأصباغ التى يضعون. إن الأصباغ هى الأصباغ، وهم هم. لهم عريهم ولها زينتها، تختال عليها وحدها، وتقول لهم: أنتم الغرباء، ما لكم ومالى تسطون علىّ؟ إليكم عنى واذهبوا فازينوا بزينتكم إن كانت ثمة لكم زينة، أو ذرونى فما أنا بخالعة عليكم حسناً ولا بشافعة لكم فى عريكم. إنى لى نفسى ولكم انفسكم لو كنتم تعقلون.

•••

الأغانى! التى شدونا بها فى فجر حبنا، ذهبت مع النهار. لم يبق إلا الحسرات، أبعثها دامية فى مغرب الشمس.

وأسفا على ألحان غارية! خبا الأليق الذى كان يخلعه عليها الصباح، ولم يعد بها غير جراح.

وعما قليل تغوص مع الشمس فى النهر وتنطفئ، وتلفها فى ظلماتها الأعماق.

رب نجم تألق فى الدجى، هو بقايا شوق بها لم يهمد. أو قمر على الليل ابتسم، وهو حلم طاف بأجفانها وهى راقدة.

أيها الليل، يا من تلف فى نسيانك كل شىء، لم تبق فى حناياك الذكر، تطفو على كراك كحلم، وتنضح من تحت أجفانك المسبلة نجوماً كابية؟

لم لا تطويها مع عهودها التى طويت، وتجعل نسيانك شاملا؟ أفحتم على الجفون المرخاة، أن تحلم بالنور الذى مع اليوم انطوى؟

رب لم ننام، إذا لم يكن لننسى كل شىء؟ وعلام الظلام، إذا لم يكن ليمحو كل ما للنور من أثر؟

ولم يبدو مريباً ذلك النور، نور الحلم؟ وكأنه ما يمت لدنيانا بسبب! ولم يقض مضاجعنا هو، إذا لم يكن بد من أن يكون خيالاً فى خيال؟

أيتها الأطياف العزيزة يا أطياف النهار، لم لا تأخذين فى ركابك الذكريات قبل أن ترحلى، وتتركين الأجسام التى لفها الليل ترقد فى سلام؟

حسبها الرقاد محنة، فعلام تذكارها بالأوهام؟ علام بربك، أيتها الأطياف، يا أطياف النهار؟..

• • •

لقد نشأت فى روضتى كما ينشأ البرعم. فعكفت عليك أظللك من حر الشمس، وأروى بدموعى تربتك.
إلى أن تفتحت كورد الربيع، فكنت النسيم الذى بعث الرعشة فى أوراقك، والبلبل الذى غرد لك فعلمك الحب.
ولكن اللصوص ويا لهم من أشرار، لم يلبثوا أن فتنوا بك، فغافلونى وسرقوك ليزينوا بك روضاً لهم، تاركين فراغك يشيع البلى فى أيامى.
أواه! فيما مضى كنت أبكى لأبلل تربتك وأندى أوراقك. وكنت أغنى لأشيع فى أيامك الحنان، وأزف إلى قلبك أشواقى. ولكننى الآن واأسفا بعد أن فقدتك، لا أدرى لمن أغنى أو أذرف الدمع.
ترى من ذا الذى يبكى لك الآن فينديك، وإذا غنى لك تنصتين؟ وهل نسيت أنت روضك القديم، وانست إلى أولئك القوم الغرباء، أم مايزال يعاودك الحنين إلى الربوع التى رعت طفولتك، ونمت فيك مناظرها وترعرعت؟
واأسفا على غرس ضاع سدى، وجهود ذهبت أدراج الرياح! كأنى ما زرعت إلا ليحصدوا، ولا كددت إلا ليستحلوا لأنفسهم عرق جبينى.
حسبهم الله، من جنوا غرسى ونهبوا أحلامى. وتركوا روضى بلا زرع، وليالى بلا أحلام!

• • •

لمحوه فى الطريق إلى بيتها يضرب فى الأرض بعصاه. كان خافض الرأس مهلهل الثياب كشحاذ، فانكروا

هيأته.

مسكين، أين زمن كان يقطع فيه هذا الطريق فى مركبة من حرير، تجرها خيل مذّهبة؟

انتصف النهار، ومايزال التعس يضرب فى الأرض على غير هدى.

انقضى اليوم، فسريت الدماء من قدميه مع مسيل الشفق.

خيم الليل، فرئى يتابع السير مهتدياً بالنجوم.

وفى الصباح، سألوا الملقى على الطريق: أين وجهتك؟

نكس رأسه ولم يجب. إنه نفسه لا يعرف إلى من يسير.

لقد هجر الطائر عشه وذهب إلى بلاد نائية. ولكن اليفه وارحمتاه له، يصر على أن يقطع الطريق الذى اعتاد أن يقطعه كل يوم.

رحمة بنفسك يا من أدميت قدميك فى العبث! قم عد أدراجك. لقد انقضى كل شىء. والطريق الذى كان بينكما يفرشه الورد، لم يعد به غير أشواك.

•••

لقد تألقت زماناً فى سماء حياتى، كنجم المساء إذ يزين بردة الليل، ويهدى السارى سواء السبيل.

وتفتحت فى حنايا فؤادى كبرعوم زهرة وافاها الربيع، فعطرت أيامى، وحليت صدرى بمنظرك.

ورفرفت فى خواطرى كمثل حمامة الأيك، فأشعت فى خمائلها النغم، وأفأت عليها من جناحيك ظلاً ظليلا.

ولكن لاح الصباح فاختفى النجم. واقتطف الوردة عابرو السبيل، ثم جاء الصيادون فلفوا الحمامة فى شباكهم ومضوا بها.

وترك أولئك القساة سمائى بغير نجم. وصدرى بغير زهرة. وغصنى بلا طائر يغرد فوقه.

•••

فى نسيم الرياض، أنشق عبيرك. وفى ترجيع البلابل أسمع صوتك - أيتها النائية.

ترين أتدركين وأنت تقطفين زهور الصباح، أن أنداءها دموعى حملتها الرياح، وعبيرها نفحات من شوقى سافرت إليك عبر الوادى؟

وهل تذكرين وأنت واقفة تجمعين الورود فى مغرب الشمس، أن جواى هو الذى أضرم النار فى الشفق، وأن وردك ما تخضب إلا من دمى؟

وعندما يخيم الليل وترنو إليك النجوم اللوامع، ألا تلمحين فى ومضها بريق عينىّ الساهرتين؟

وإذا ما حبا إليك من القمر شعاع، فأسعد بالأحلام منامك، أفما تقرئين فى ضوئه الهزيل سطور وجهى الشاحب، أنا الذى أضنانى فى حبك البعاد وسهر الليالى؟

•••

طال بى هجره وهنت عليه

فاتن تسجد القلوب لديه

يا حبيبى وهى المحب فرفقا

بصريع الهوى وخذ بيديه

ما سقيط الندى على الزهر إلا

عبرات تفيض من مقلتيه

ونواح الحمام غير شكاة

رجعتها الطيور عن شفتيه
انا بى وجد عاشق مستهام
لا تنام الجراح فى جانبيه
فى سبيل الحبيب يمشى على الشو
ك ويدمى من أجله قدميه
لو سألت الورود عمن تراها
من دماه ارتوت لأومت إليه
او سألت الرياض من بث فيها
نسمات الصبا لدلت عليه
كم قضى الليل يرقب النجم حتى
خيل ومض النجوم من دمعتيه
فأذا ما غفى فذاك ليحظى
بخيال الحبيب فى غمضتيه

• • •

لماذا عدت إلى يا غادرة؟ لقد كنت أظن وقد زوجوك كرهاً من سواى، أنك ستعيشين عمرك بتولاً، محتفظة إلى الأبد بفمك عفا، ليظل يسبح بذكريات حبنا الجريح.

ولكنك واأسفا انست على مر الأيام لمن نفرت قبلاً منه، وأسلمته بعد التمنع فمك، منتهكة حرمة حبنا المقدس، ناسية أن هناك على بقعة أخرى من هذه الأرض، عاشقاً هجر زخرف الحياة، ووقف أيامه على التوجه لهذا الحب، يصلى له ليل نهار، ولا يضن عليه بأن يحرق شبابه بخوراً له.

لطالما حدثونى وأطنبوا عن جميل وفائك، وأكبروا فيك عذراء ضحت على مذبح العفة بجمال جسدها حفظاً

لعهود الهوى. ولكننى لم أعتم أن وقفت على الحقيقة ولشدّ ما كانت مرة، فهوى على رأسه وتحطم ، صنم لك كنت فى فؤادى قد اقمته، تاركاً على البقعة التى تردى فيها ألف جرح وجرح.

لك الله! يا من جازيت بالسوء عابدك وجعلت آخر صلواته النار.

لا تجادلى. لقد شهدت بعينى كل شىء. ويا لها من مفاجأة كانت!

أعلم أن المرأة لا تكون بين أحضان زوجها خائنة، ولكن زواجك نفسه كان خيانة. خيانة لحبنا الذى تبادلناه يومئذ وأنت مطلقة السراح من كل قيد، فصار أسبق فى حقه عليك من كل صاحب حق. وإن زواجاً يقوم على خيانة، لحلاله حرام. وإنصاف الزوج فيه، إنصاف على حساب الحبيب.

اذهبى، فلقد انقضى كل شىء. وأحسبك عرفت يومئذ من نظراتى أننى أصدرت حكمى، وقضيت على حبنا بالزوال.

أذهبى لمن رمت إنصافه. اذهبى لمن بعته حقى ثم قضيت له به. اذهبى، لقد بعت ما لا تملكين. وكنت فى عدلك ظالمة.

ما جدوى بكائك؟ دمعك لن يأسو جرحى. ولن يغسل إثماً اقترفته، قد سبقه ومضى مع اليوم الذى راح به، واستقر فى ضمير الزمان بعيداً عن محاولاتنا. .

لو كان للأمس أن يعود فيمثل بين أيدينا، لقلت لك أغرقيه فى صيب من دموعك، وردى عليه نقاوته. ولكن هيهات وقد ولى غير تارك منه إلا الظلال التى لا سبيل لتبديلها.

هبيك تقدمت إلى الآن وحاضرك فى يمينك ناصع طاهر، فكيف أستطيع أن أحجب عن عينى أمسك الموصوم؟

أذهبى، لا استطيع أن أنسى الماضى بحال، ولا أن أسقطه من حساب حبنا. ذلك أن الود كالعمر لا يتجزأ. أمسه يعيش فى حاضره بكل ما فيه من كدرة أو نقاء.

لا فائدة. لقد أتلفت كل شىء.. أنا نفسى لا أعرف كيف أنسى أمسك الملوث، ولا أية رقية فى مقدورها أن تطهره.

والأمر من إباحتك فمك أنك أسلمته من أسلمته عن رغبة، هبيها عابرة كما تقولين، لمعت بجسدك فى لحظة طيش، إلا أنها رغبة على أى حال، وهذا مالا أغتفره.

ذلك أنك لم تكونى لى بقلبك فقط، وإنما بقلبك وجسدك، بسرك وجهرك معاً. أجل ، كل ما فيك كان ملكاً لى. وإنى لأنكر عليك أن تمنحى امرءاً سواى قبلة تحدوها الرغبة أية كانت طبيعتها. حتى ولو كانت إلى حبة الفؤاد لن تتغلغل، وعلى شفتيك تموت قبل أن تتجاوزهما.

أذهبى، إنا شقيان. الأقدار تحالفت علينا. فحرمتنا حتى ذلك العزاء الذى لبثنا نعيش فى كنفه بعد أن تشتتنا كل فى مكان بأن أوعزت إليك أن ترشقى فيها سهماً بيدك. فرشقته، فانبثق منه الدم، فخر صريعاً.

يا تولاك الله! إنك مسكينة مثلى. سخرتك الأقدار فى حفر قبرك. فحفرته وحفرت قبرى معك.

أذهبى، آن لنا أن نفترق.، آن لنا ذلك فالوداع.

•••



أيها المحب العابد للجمال! ما آخرة هذا اللهب الذى تشعل فى قلبك، وتركع أمامه فى خشوع؟ أمشرك أنت تعبد النار؟

عجب لأمرك! لقد أقمت لك من غادة تمثالاً، وأوقدت من صبوتك ناراً، ثم قضيت يومك تسجد للتمثال وتخر عند اللهب!

كبرت فعلة أقدمت عليها! قم أخمد النار وحطم الصنم، ثم توجه لربك الحق واعبده تعالى فى المعنى السرمدى والأسماء الحسان.



كلام فى كلام فى كلام!!

ماجد يوسف

ما الذى حدث ، ويحدث، ليل نهار.. فى إعلامنا المرئى والمسموع والمكتوب، فى صحافتنا المصرية/ العربية كلها، وعلى قنواتنا المصرية/ العربية المتعددة والمتكثرة يوماً بعد يوم؟! .. ما هذه الحالة العجيبة من الكلام والتحليل والشرح والتفسير وتقليب الأمر - أى أمر - على مختلف جوانبه.. فحصاً وتمحيصاً وبحثاً ومراجعة وأخذا وردا، حتى لا يترك «للموضوع» المسكين أى فرصة لمستزيد؟!..

هذه حالة موجودة بامتياز الآن فى وسائل إعلامنا.. خذ أى «موضوع» يخطر على بالك .. معوقات البحث العلمى مثلا، أو انفلونزا الطيور، أو تأخر سن الزواج للشباب.. أو.. أو.. لك أن تتخير ما تشاء من موضوعات.. ستجد أطناناً من التحليلات والتفسيرات والشروحات، الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية والانثروبولوجية والفلكلورية والوطنية/ المحلية، والدولية/ العالمية!!..

وإذا تابعت الندوة المقامة حول «الموضوع» - أى موضوع - فى واحدة من عشرات المحطات التليفزيونية العربية، فسيطالعك عدد من المتحدثين المحترمين المتخصصين الضالعين فى «الموضوع».. والقارئين له من مختلف جوانبه المشار إليها، والمحللين لوضعيته المستعصية، وأبعاده المستغلقة، وماضيه الملتبس، وحاضره المنتكس!..

وستتكون لديك، بمجرد الاستماع إلى حلقة عن «الموضوع» فى التليفزيون» أو الندوة فى جمعية، أو المحاضرة فى الجامعة، أو الخطبة فى الحزب، أو المؤتمر فى قاعة المؤتمرات، أو البيان فى الملتقى الفكرى، أو الشرح فى الجمعية الأهلية، أو التوضيح فى مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدنى.. إلخ.. إلخ.. حول نفس «الموضوع» طبعاً.. ستتكون لديك فكرة واضحة جداً عن «الموضوع».. وسيعديك هؤلاء السادة المتحدثون بكل يقين وثقة وعلم وهدوء، من فوق كل هذه المنابر، وفى كل هذه السياقات المهمة.. باطمئنان شامل، واقتناع كامل، أن المشكل المطروح لابد ملاق حله العاجل الناجع الباتع الفاعل على مرمى أيام أو

أسابيع قليلة.. مادامت أبعاد المشكلة واضحة كل هذا الوضوح، ولدينا من العلماء مثل هذه الزمرة الكبيرة الفاهمة الواعية الفاحصة الباحثة المدركة العارفة التى (قتلت) (الموضوع) بحثا بهذا الشكل التفصيلى التفسيرى التحليلى التعليلى، وأضافت إلى المتن التأصيلى ما يزيده اتضاحاً وانطراحاً وانشراحاً، بإضافات الهامش التكميلى!!.. وتمر الأيام، بل الشهور، بل السنوات، وتلاحظ.. أن المشاكل هى هى.. لم تلق أى حل ناجح، ولم يتم القضاء على مسبباتها، رغم وضوح كل الأبعاد والتفاصيل والأسباب والظروف والملابسات والسياقات والأصعدة والعوامل والاعتمالات والحاجات والمحتاجات.. فلا مشاكل البحث العلمى فى مصر - مثلاً - وجدت حلاً، ولا نسبة العوانس بسبب تأخر سن الزواج بين الشباب انخفضت، ولا أزمة اللحوم أو الأسماك أو الطيور انتهت.. برغم قضائنا تقريباً على جنس الطيور فى البلاد!!

والأغرب، والمثير للدهشة والعجب إلى حد فتح الأفواه على آخرها ببلاهة وعجز عن الفهم .. أن الجرائد والمجلات والصحف السيارة، الحكومية منها والمستقلة والمعارضة والقنوات الفضائية والأرضية والمتخصصة، فى كل أنحاء العالم العربى تقريباً مزالت تستضيف الخبراء والعلماء والمختصين والباحثين والمسئولين والعارفين والدكاترة وأصحاب الرسائل والأوراق والاستبيانات المستفيضة فى «الموضوع» ليقولوا .. نفس الكلام.. ويعيدوا علينا بصيغ لا نهائية نفس الشروح والتوضيحات والإضاءات والتعريفات والتسليطات والإبانات ..و..و..و.. إلخ.

وتذكرت حديث عبد الله القصيمى - رحمة الله - عن (العرب كظاهرة صوتية) وأخذت أتأمل هذه الثقة الكاملة، واليقينية التامة، والإيمان المطلق للمتكلم بما يقول!.. وكيف أنه يشعر - مع نهاية حديثه - بأنه جمع فأوعى، وحدث فأوفى، وأنه أحاط بجوانب «الموضوع» إحاطة القيد الحديدى بالسجين المذنب.. وأنه «لا» و«لن» و«لم»!! وأنه أنجز مهمته على الوجه الأتم والفائدة الأعم!!.

كأننا أصبحنا بحديثنا عن «مشكلة» ما.. يقر فى داخلنا أنها قد حلت بالفعل بمجرد الكلام المستفيض عنها، وهو كلام علمى وتقنى وفنى مدقق ورصين ومدروس.. لا غبار على كل ذلك، ولكنه (الكلام العظيم نفسه) لم يحقق حلاً، ولم ينجز وعداً، ولم ينه مشكلة، والأخطر هذا الحس الذى يأتيك عبر مشاهدتك لندوة من ندوات التليفزيون حول «موضوع ما» الاحساس المشبع بالثقة للمحاضرين أو المتحدثين بأنهم (جابوا الديب من ديله) وحلوا (الموضوع) بالحديث الشامل الكامل الناجز عنه، وأنه ليس مطلوباً منهم ما هو أكثر، فالفعل نفسه محال - أى (متروك) وليس محالا بمعنى مستحيلا (حاشا لله).. بل هو محال.. بمعنى مرهون .. أو محول إلى جهة ميتافيزيقية ما.. ليست هم (أهل الاختصاص) بالضرورة، وإنما إلى (المسئولين) أو المتنفذين، أو كبار رجال الحل والربط - باختصار - إلى مؤسسة الحكم، الذين لو ارتأوا أن يأخذوا باجتهادات هؤلاء العلماء الأفذاذ.. فأهلا

وسـهـلا،، وإذا لم يحبوا ذلك لأى سبب من الأسباب «فهم العالمون ببواطن الأمور «وهم أدرى» وبالتأكيد لديهم أولويات أهم وأن هذا (الموضوع).. هذا المشكل (موضوع) الحديث .. لابد أن دوره آت على سلم الأولويات الاستراتيجية، فى جدول الخطة القومية المقبلة فى إطار السعي إلى الإصلاح، وسباق الزمن لحرق مراحل الأبعاد المتردية للتركيبة الاجتماعية والطبقية المتفاوتة.. إلخ.. إلخ!

الكوميديا السوداء فى الموضوع.. أنه لو تصادف أن وجه الإعلامى - الصحفى أو التليفزيونى - سؤالا للمسئول الكبير حول هذا الموضوع.. وليكن مثلا.. تردى البحث العلمى فى مصر .. لوجدنا الوزير المختص - على سبيل المثال - يشقشق وينقنق ويبقبق بنفس الكلام المستف المرتب المنمق المضبوط ويبدى وعياً يشكر عليه بالمشكلة وأبعادها، والأزمة وحلولها وسبل الخروج منها.. إلخ، ولا شىء يحدث بعد ذلك!..

كأنه قد أصبح هناك ما يشبه المؤامرة المشتركة بين كل الأطراف على استهلاك (الموضوع) ـ أى (موضوع) - بالحديث عنه، كما قلنا، وأن هذا الحديث له مستويات خداعية - مقصودة أو غير مقصودة - وكلها فارغ لا يحقق شيئاً.. فمستوى الوزير - مثلاً - هو أعلى هذه المستويات الكلامية الخادعة بالحلول وبتفكيك المشكلة.. هو فى الحقيقة يمتلك نفس البلاغة الشكلية التى يمتلكها الآخرون، ولكن لعل ما يسبغ الأهمية على بلاغته هو بالذات هو منصبه الكبير الذى يفترض - منه وبه - حل المشكلة فعلاً، وهو ما يحقق أعلى مستويات التجسيد البلاغى ليس إلا للظاهرة الكلامية أو الصوتية الفارغة.. ولا شىء يتحرك!

المفارقة الأنكى هو هؤلاء العلماء الذين كلما استدعوا للحديث فى نفس الموضوع، رغم مرور السنوات عادوا بنفس اللياقة واللباقة والانسجام والابتسام والبدلات الأنيقة والكرافتات الحديثة والقمصان النظيفة والصلعات اللامعة (فى معظم الأحيان) وتسميات المناصب الطنانة الرنانة.. لترديد نفس الكلام، الذى أصبح - بطول ترديده - قوالب محفوظة، وعبارات مصكوكة، وألفاظاً محبوكة، لها منطقها الشكلى الفارغ، ولها جمالياتها المكسوة بالعلم والعارية من الحقيقة، ولا يفكر واحد من هؤلاء أن يقف محتجاً ورافضاً لهذه الدورة الببغاوية، وهذا التكرار المجوج.. واعياً بألا يتحول إلى مجرد أداة (تشبه شريط التسجيل الخائب) لتجميل الوجه القبيح، ناجياً بنفسه من الوقوع فى أسر الحمق والاجترار والاستهلاك المجانى للكلمات والأصوات!

المأساة يا سادة أننا صرنا - وأكرر - نستعيض عن الفعل بالكلام، وعن الإنجاز بالبلاغة، وعن الوجود الحق بتصوراتنا المثالية عنه، ومن ثم، كانت النتيجة أننا غبنا وحضر الكلام. وشجبنا وسطعت البلاغة، ورضينا عن أنفسنا وعن علمنا ومعرفتنا وعمقنا.. وضاع «الموضوع» .. واختفينا - أو نكاد- ولعلعت أصواتنا العالية.. تتردد فى (الفضاء) المحيط بنا.. كبقايا أخيرة لشعوب وجدت فى هذا الفضاء/ الفراغ ذات يوم، واستبدلت حيواتها الحقيقية، بهذه الظواهر الصوتية المطنطنة المقرقعة المعدنية.. والتى حتى هذه تخفت رويداً رويداً.،. مفسحة المكان والزمان للصمت التام والموت الزؤام!!



إيضاح لم يفت بعد آوانه

علي مبروك

فى يونيو الفائت، سعدت بتلبية دعوة كريمة من القائمين على ندوة "أدب ونقد" الشهرية، لمناقشة كتابى "لعبة الحداثة بين الجنرال والباشا"؛ الذى يتعرض بالتحليل للمأزق الراهن الذى تعيشه الحداثة فى العالم العربى. وقد تفضل الأخ الكريم عماد طه، بكتابة مداخلة- جاءت، لسوء الحظ، مبتسرة- مع بعض الأفكار التى دار حولها النقاش فى اللقاء، نشرتها له جريدة القاهرة، بعد اسبوعين من تاريخ اللقاء. وإذ بدا أن هذه المداخلة الكريمة، قد أخضعت الأفكار التى اشتبكت معها، مما كان موضوعاً للحوار، لتوجيهات السجال السياسي الدائر، بين الفرقاء التعساء، فى مصر؛ وعلى النحو الذى أفقد هذه الأفكار زخمها النقدى، المجاوز لحدود هذا السجال، فإن الأمر قد اقتضى إيضاحاً يرد الأفكار إلى أفقها المعرفى الأرحب، ويحررها من تحديدات السجال السياسي؛ الذى لا يفعل إلا أن يهدر ما تنطوي عليه الفكرة، اى فكرة، من ثراء وخصوبة. ورغم أنه قد تم إرسال هذا الإيضاح إلى جريدة القاهرة، فور كتابته بعد قراءة المداخلة مباشرة، فإن الجريدة- ولأسباب غير معلومة- لم تنشره للآن. ورغم انقضاء ما يقرب من نصف العام، فإن الصديق الشاعر حلمى سالم- وبعد محاولتين، غير موفقتين، من جانبه لنشر هذا الإيضاح على صفحات القاهرة والأهالي- قد فاجأنى بأنه لم يزل يتصور ضرورة نشر هذا الإيضاح، لأنه يتجاوز، بما يطرحه، حدود "الآني والعارض"؛ الذى يربط جدواه بلحظة معينة. إذ الحق أن الإيضاح يقارب، بالفعل، ما يمكن اعتباره

من قبيل "أسئلة التأسيس" فى كل من الحداثة والتراث؛ والتى هى- بالطبع- من الرواسخ التى يتجاوز الانشغال بها في حدود لحظة ما؛ وأعنى أنها إنما تتجاوز "الآني" إلى "الباقى" الذى لا يمكن للحظة بعينها أن تستنفد جوهرية حضوره.

وإذا كان الشكر واجباً للصديق حلمى سالم، فإن شكرى كبير للأخ عماد طه، على ما أتاح لى من تفصيل بعض ما أجمل وإيضاح بعض ما أغفل وذلك ليتسنى للقارئ الكريم أن يكون على بينة من جوهر ما دار حوله النقاش.

ولعله يمكن القول بأن جوهر النقاش قد دار حول فكرة أن الحداثة فى العالم العربى لم تقدر- لأسباب شتى ترتبط بشروط وطبيعة تبلورها عند مطالع القرن التاسع عشر- أن تبنى لنفسها سلطة فى قلب معركة فى الواقع الذى جرى استدعاؤها للاشتغال على سطحه، وظلت لذلك فى حاجة إلى سلطة تسندها، أو حتى تفرضها، من الخارج. وبالطبع فإن هذه السلطة الداعمة للحداثة من الخارج لم تكن إلا سلطة دولة الجنرال أو دولة الباشا؛ وهى السلطة التى لم تزل تحدد المصائر البائسة للحداثة فى العالم العربى حتى الآن. وغنيٌ عن البيان أن إحتياج الحداثة لسلطة الدولة، قد فرض عليها- وكان ذلك منطقياً- أن تكون مجرد مطية تابعة للدولة وإلى حد أنها استحالت- فى أحايين كثيرة- إلى مجرد اداة للدولة فى قهر المجتمع وقمعه. فإذ لم تشيد الحداثة الدولة بل كانت الدولة هى التى تبلورت لبناء الحداثة فإن ذلك قد انتهى بها إلى المأزق الذى يتلبسها؛ وأعنى مأزق إنبنائها (أعنى الحداثة) عبر الفرض الإكراهى لنموذجها الجاهز على المجتمع من أعلى. وبالطبع فإنه لا يمكن إغفال الوجه القمعى الملازم لهذا الفرض الإكراهى من أعلى على المجتمع الذى كان مستعداً للتسامح مع قمعية هذه الدولة وتسلطها فى حال تجاوبها مع توقه إلى العدالة التى لم تتوقف شكواه من غيابها على مدى تاريخه الطويل. ومن هنا أن الدولة التى سعت- ولم تزل- لبناء الحداثة لم تكن، هى نفسها، دولة حديثة حقاً. لأنه إذا كانت الخصيصة الأهم للدولة الحديثة الحقة أنها دولة الحرية؛ وأعنى من حيث كونها دولة تعاقدية تستمد سلطتها من إرادة الأفراد الواعين الأحرار؛ فإن الدولة المسماة بالحديثة فى العالم العربى لم تكن إلا دولة القهر والتسلط على أقوام وادعين

جهلاء وذلك بحسب ما يُفهم من عبارة "المعلم الجنرال يعقوب" التى قطع فيها- قبل مائتى عام بالضبط- بأن "تغييراً فى مصر لن يكون نتاج أنوار العقل أو اختمار المبادئ الفلسفية المتصارعة (التى لم يكن شيئاً منها فى مصر آنذاك)، وإنما تغييراً تجريه قوة قاهرة على قوم وادعين جهلاء"؛ وبما يعنيه ذلك من أن إجراء التغيير وتشغيل الحداثة موقوف على توفر قوة قاهرة وقامعة. وإذا كان المعلم يعقوب قد أدرك هذه القوة فى دولة الجنرال (الذى كانه نابليون) فإن وريثه الطهطاوى سوف يدركها فى دولة الباشا (الذى كانه محمد على). وليس من شك فى أن أحفاد الرائدين الكبيرين لا يزالون يراوحون عند نفس الأطروحة.

ويقدر ما تفارق هذه الدولة القامعة فضاء الدولة الحديثة الحقة فإنها تتجاوب لامحالة، مع التاريخ الطويل للدولة التقليدية التى حكمت ديار الإسلام، والتى لم تكن- بحسب ابن خلدون الذى هو أحد أكبر وأهم منظريها- إلا دولة العصبية أو القهر والطاعة وذلك على العكس مما يخايل به مؤدلجو الإسلام المعاصرين من أنها كانت دولة الشورى والعدالة. وإذ الدولة الموصوفة بالحديثة فى العالم العربى تبدو إلى هذا الحد كاذبة ويائسة، فإنه يبدو- لسوء الحظ- أن التفكير العربى فى الحداثة لم يكن أقل بؤساً منها؛ وأعنى من حيث أن آليات هذا التفكير قد تبلورت ضمن فضاء تراثى خالص. وهنا يتبدى بجلاء أن كيفية فى التعامل مع الحداثة قد فرضت على الوعى طريقة وكيفية التفكير فيها. فإن كون الحداثة قد تبلورت- فى الممارسة- كمشروع تفرضه دولة ما فرضاً قسرياً على المجتمع من أعلى كان لابد أن يحدد نوع وطريقة التفكير فيها كنموذج جاهز ومكتمل يحمل كل سمات الأصل الذى لابد من إحتذائه ليتسنى إخراج الفرع من جموده وفواته. وهكذا فإن الكفقية التى جرى التعامل بها مع الحداثة قد فرضت على الوعى آلية فى مقاربتها والتفكير فيها كنموذج/أصل، لابد- على طريقة الفقهاء- من تجريد العلة المؤسسة لحداثته (أولاً) ثم تحقيقها فى الفرع الذى هو الواقع العربى (ثانياً). وإذ يبدو هكذا أن التفكير فى الحداثة قد تحقق، ولم يزل، بحسب آلية "التفكير بالنموذج" الذى راح يجرى

التنزّل به على واقع موات فإنه يبدو- لسوء الحظ- أن هذه الآلية فى التفكير لم تكن إلا امتداداً لآلية "التفكير بالنص" التى تبلورت فى النصوص التأسيسية لآباء الثقافة العربية الإسلامية المؤسسين؛ وأعنى الشافعى والأشعرى بالذات. وبالطبع فإن حضور كل منهما ضمن سياق هذا التحليل لآليات التفكير فى الحداثة لا يتعلق بمضمون ما انجزاه على صعيد المذهب الفقهى أو العقائدى، بقدر ما يتعلق بالدور الحاسم الذى لعبه كل منهما- بإعتبارهما مؤسسين لعلمى أصول الدين والفقه- فى تثبيت وترسيخ آلية فى التفكير حددت- ولم تزل- بناء الثقافة العربية الإسلامية؛ وأعنى آلية التفكير بالنص.

فإذ تبنى الشافعى إستراتيجية فى بناء الأصول تقوم على الاتساع بالأعلى من هذه الأصول ليستوعب ما تحته من أصول كان عليها، بالتالى، أن تضيق لتقبل الإدماج ضمن ما فوقها؛ وبما يعنيه ذلك من أن الأصل الأعلى عنده، وهو الكتاب أو النص، قد إتسع ليستوعب سائر الأصول تحته فإنه قد انتهى إلى استحالة اى تفكير فى الفقه إلا بالنص وبما يترتب على ذلك من طرد كل ما سواه من فضاء التفكير الفقهى. وبالمثل فإن الأشعرى قد أسس عمله الكبير فى العقائد على ما أسماه هو نفسه، بطريقة الإستدلال بالأخبار التى لا تعنى إلا التفكير بالنص أيضاً؛ وهى الطريقة التى تمرد بها على طريقة الاستدلال العقلية التى إشتغل بها، هو نفسه، حين كان يفكر ضمن الفضاء المعتزلى.

وهنا يُشار إلى إن التفكير بالنص لا يعنى عند الرائدين الكبيرين، إلا التفكير إبتداءً من هيمنة أصل معطى مسبق لا يمكن للعقل أن يتمرد على سلطته أبداً. ولسوء الحظ فإن هذه الطريقة فى التفكير بأصل لم تكن بدورها، إلا إحدى بقايا ثقافة الأبوية التى يتمحور كل بنيانها حول سلطة الآب/الأصل، التى يستحيل إلا الانصياع الكامل لسطوتها وهو الانصياع الذى يبدو- حسب القرآن نفسه- وكأنه العائق الأكبر امام إنصات الناس لوحى السماء. وإذا كان الإسلام قد اخذ على عاتقه تفكيك هذه الثقافة الأبوية وسلطتها، ليس فقط لأنها العائق أمام سيادة وحيه، بل ومن حيث كونها تمثل عائقاً امام اشكال وجود

أرقى فإن الغريب حقاً أن تكون هذه الآبوية (ثقافة وسلطة) قد إخترقت الإسلام من خلال تسريب آليتها فى التفكير بالأصل إلى بناء الثقافة التى تحققت لها الهيمنة داخله. ولعله لن يكون غريباً والحال كذلك، أن يكون نص الإسلام المؤسس أو القرآن، قد عانى من اشتغال هذه الآلية أكثر من غيره؛ وأعنى من حيث تحول قراءته أو التفكير فيه بأصل جاهز معطى دون انكشافه عن ممكناته الكامنة التى يستفيد منها حياته الحقة وحضوره الفاعل الخلاق فى العالم. ومن هنا فإن التفكير بالنص يتجاوز مجرد نص بعينه (كالقرآن والسنة مثلاً) إلى كل تفكير بالأصل على العموم، وإلى حد يمكن معه الإلماح إلى أن القرآن نفسه يمكن أن يكون موضوعاً للتفكير بالنص/الأصل. والعجيب أنه حين يكون موضوعاً لاشتغال تلك الآلية، ينتهى به الأمر إلى أن يكون عرضة للجمود والاضمحلال لأنه يصبح موضوعاً للترديد والتكرار، وليس التكشُّف عن ممكناته المضمرة التى تحتاج فى إنكشافها، إلى آلية حرة وغير مقيدة بأى أصل فى التفكير.

ولعله يمكن المصير من هنا إلى أن بؤس الأشعرية- بحسب هذا التحليل- لا يقف عند حدود فصيل سياسي بعينه، بل يطال كافة الفرقاء المنضوين تحت بناء الثقافة المهيمنة الراهنة، التى تدين للأشعرية بمجمل آلياتها وثوابتها العميقة وذلك على الرغم مما تتجمّل وتتقنّع به من أردية حداثية زائفة. وهكذا فإنه إذا كان سياق السجال السياسي الذى ينخرط فيه الأخ الكريم عماد طه قد جعله يقصر البؤس على فصيل سياسي بعينه فإن التحليل المعرفى يجعل البؤس من نصيب ثقافة ينضوى تحتها الجميع ومن دون أن يكون لتصنيفات السياسة أو حتى العقيدة كبير إعتبار ضمن سياق هذا النوع من التحليل. إذ يبدو لسوء الحظ أن الأشعرية قد سربت آلياتها حتى إلى الأنساق المناوئة لها داخل التراث كالمعتزلة والشيعة مثلاً. ومن هنا أن أحداً لا يمكنه أن يطلب البراءة لفريق، على حساب وصمه للآخرين بالإدانة. والحق أن الأمر يقتضى الإنفلات كلياً من التفكير بحسب منطق البراءة والإدانة إلى ضرورة التحليل



والفهم؛ وخصوصاً فهم ما يرقد تحت المضامين من انظمة وبنيات لابد أن يغير إدراكها من إتجاه نظرتنا لكل من التراث والحداثة فى آن معاً.

وإذن فالعبرة ضمن هذا التحليل، ليست بمضامين الخطابات وما تقول، وإنما بالآليات والبنيات والأنظمة العميقة التى تنبنى بحسبها تلك الخطابات.

فإن الإنشغال بمجرد المضامين قد ينتهى إلى تأكيد تباينات زائفة لاوجود لها كتلك التى راح يلح عليها الأخ الكريم "عماد" بين كل من الغزالى والأشعرية. والحق أن أى تحليل جدى لخطاب الغزالى لابد أن ينتهى إلى إستغلاقه كلياً أمام اى محاولة لفهمه وتفسيره، خارج سياق الخطاب الأشعرى الذى يعد الغزالى نفسه أحد أكبر منظريه عند نهاية القرن الهجرى الخامس ومن دون أن يؤثر إنتقاده من جانب بعض الأشاعرة على قوة هذه الحقيقة. فالأمر حين يتعلق بتحليل الخطاب إنما يتعلق بما يتجاوز إرادات الأفراد وتصنيفات السياسة وإنتماءات العقيدة إلى البنيات الأعقد والأنظمة الأعمق. ومن هنا دعوتى الأخيرة للأخ عماد وغيره إلى ضرورة التحرر من التفكير بحسب آليات المساجلة (السياسية والفكرية) التى تجعلنا نعيد إنتاج خصومنا فيما نتوهم أننا نتجاوزهم.

جـــنـــوبـــيـــون

فريد أبوسعدة

صورة جماعية

الموتى
يرفضون دفنهم
قبل أن تؤخذ لهم صورة جماعية
يستعيدون فيها
اللحظة التى سبقت القصف

يطلبـون اسـتـعـادة أطرافـهـم التى طارت بعيدا
يطلبون رفع الأحجار عن الأجساد
ونفض الغبار عن الوجوه
ثم يلتفون حول المصور
لمساعدته فى بناء المشهد الأخير

يصفون للمصور
مَن كان بجوار مَن
مَن كان قادما من المطبخ بالعشاء القليل
مَن كان ينظف الجرح لشيخ يئن
غارسا أسنانه فى طرف الجلباب.
: خذنى قليلا إلى جوار الحائط

فقد كنت هناك
أهدئ من روع الطفلة.
: وأنا كنت واقفا أوزع الماء الشحيح
كيف تمكننى من الوقوف فى الصورة
وساقىّ مبتورتان؟!
: أزيلوا التراب
لتظهـر الزجـاجـات الفـارغـة مـن الماء والحليب،
لتظهر علب الأدوية المنتهية الصلاحية
وطاقم أسنان الجدة
ونظارة طفل
فقد النطق من غارة سابقة.
: كان القصف يقترب
كان الموت خلف الباب
وكنت أحدق فى الأكره
غائصا برأسى بين كتفىّ
أنتظر يده السوداء.
: هذا الطفل لم يكن هنا
يا إلهى..
كيف طار كل هذه المسافة

: لا تظهر البلل الذى أصاب البعض
لحظة القصف
لا مانع من الدموع
والدماء
لا مـــانع من أن تمسك الأمـــهـــات أذرع
أطفال طاروا
وغادروا المكان
لكن
كن كريما ولا تظهر البلل.

والآن
أرنا الصورة
: لا بأس.
: لا. لا. إنها خالية من الصوت
: نعم، أين الصراخ
أين البكاء
و الضراعة
والأنين
: أين الجلبة
: أين الانفجار؟!
: لا. لا،
حاول مرة أخرى.

شهداء يكررون موتهم

العجوز
على كرسيها المتحرك
بيدها المصابة بالشلل الرعاش
العجوز
التى تشرب الشاى من إناء عميق
كى لا ينسكب عليها
تحدق فى شاشة التليفزيون
حيث تبث القناة صور الضحايا
من قصف قانا
فجأة تتوقف
يسقط الإناء من يدها
تحرك الكرسى نحو الشاشة
وهى تصرخ: ابنى
ثم تذهب فى إغماءة
تصل خلالها الأصوات
والأيدى التى أخـــرجـــتـــهـــا من تحت الأنقاض
وحيدة بلا عائلة
لا الزوج
ولا البنات
ولا الطفل الذى لم يتجاوز الخامسة

فى عودتها
من الغيبوبة
تنتبه
على وجوه تقترب منها
محرّفة
كوجوه تقترب من الكاميرا
: ليس هذا ابنك
ابنك مات شهيدا
فى قانا سابقة
اهدئى.
لكنها تصرخ فى هستيريا
: خذونى إليه
وتهمّ بالوقوف فتسقط فى الغيبوبة
لتراه وسط الجثث
أكبر بعشر سنوات عما كان!!

كيف يكبر الموتى
ولماذا يكررون موتهم؟

فى الطريق إلى الناصرة
قابلت السيّد
وعدها بزيارة قانا
وبأنه سيصلى من اجل لبنان
فلماذا تأخر السيّد
وهل سيكرر الشهداء موتهم
حتى
يجىء؟

الجرّافة

هاهى تمضى
بحركتها البطيئة
تكنس ما تبقى من البيوت:
الأحجار والشبابيك
مواسير المياه وقاعدة التواليت
أسلاك الهاتف والكهرباء
بينما الذكريات تحلق فوق الفوضى
كسحب زرقاء صغيرة.

هاهى تمضى ببطء
وخلفها
يمضى المشاة المدرعون
أيديهم على الزناد
ورؤوسهم فى كل الاتجاهات
تظهر فى الركام ساعة حائط
تظهر بندقية أطفال
تتطاير الصور العائلية
وكراريس المدارس
تظهر فيروز
من اين يأتى الصوت؟!
يكتشف الجندى الراديو الصغير
فيسدد إليه دفعة من الرصاص!!

تمضى الجرافة ببطء
صانعة طريقا وسط الخراب
يتوقف جندى
ويشعل سيجارة
ثم يمد يده بالعلبة لجندى آخر
لكن الرصاصة تعاجله
فيسقط قبل ان يأخذها
يطلق الجنود الرصاص فى كل الاتجاهات
لكن أحدا لا يعرف من اين جاءت

تمضى الجرافة
ويمضون خلفها مذعورين
فلا أحد يعرف
متى ستأتى الرصاصة التالية
ولا أحد يعرف
من أين!!



شعر

ويحدث أن نبحر

عهدى چورچ

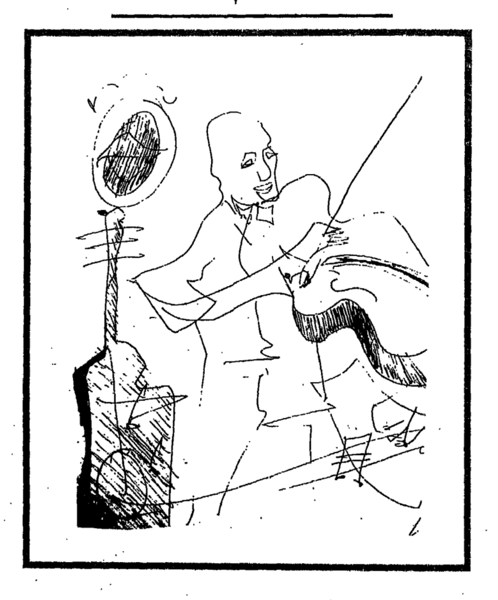
ليست فى أى مكان أعرف
فتشت الأنحاء ولم أصب شيئا
بحثت فى خبائى واحصيت خسائرى
نقضت أسوارى وحرثت جداولى

ليس هذا لونى
وتلك ليست رائحتى
هذا ليس صوتى وليست تلك آثار أقدامى
الوجه فى المرآة بعيد عينى
يرمقنى بنظرات باهتة.. بأعين تغتال المدى
أين ذهبت رسائلى؟ وأين ستضع رحالها؟

لم يعد لى أين أبحث
فرغت من ردائى ومن كافة مخابئى
اسقطتها فى التيه؟ فقدتها عند اجتياز النهر؟
أكانت فى حوزتى قط؟

من يقدر أن يخبر عن نجمة تتلألأ..
عن شمس نمت بين أضلعى
أنا مواطن القمر والشتاء الدائم
اتجرأ لأفتح عينى
كيف اختفت فوضى غرفتى؟
وكم عثرت بها وجرحت نفسى
كيف استحالت أحلام كبرى.. ندوب فى جسد محارب سابق
كيف أصبح ما يعنينى هو تلك الرائحة..
التى تجعلنى آمنا كما فى حضن أمى
التى منحتنى نوما لم أعد أعرفه منذ رحم أمى..

عـــــام ٢٠٠٦



إعداد: مصطفى عبادة

الأبواب الثابتة

١ - أول الكتابة: فريدة النقاش - ١٢ عدداً من العدد ٢٤٥ يناير إلى العدد ٢٥٦ ديسمبر.

٢ - الديوان الصغير:

١- مدينة الشيطان الأصفر - قصة مكسيم جوركى - ترجمة د. سهيل أيوب - العدد ٢٤٥ يناير.

٢ - تجليات النخل فى الجنوب - مختارات من شعر حجاج الباى، إعداد وتقديم: محمد رفاعى، العدد ٢٤٦ فبراير.

٣- المجتمع زى الرصيف - مختارات عن شعر فؤاد قاعود، إعداد وتقديم: طلعت الشايب، العدد ٢٤٧ مارس.

٤ - رسائل راشيل كورى، بلاغ عن الإبادة، ترجمة: لميس النقاش، تقديم: فريدة النقاش، العدد ٢٤٨ إبريل.

٥ - الكمان والعاصفة، مختارات من شعر محمد الماغوط - إعداد وتقديم: حلمى سالم، العدد ٢٤٩ مايو

٦- قصائد ضد التطرف، إعداد وتقديم: عيد عبد الحليم، العدد ٢٥٠ يونيو

٧ - أيوب مصر الحديثة، مختارات من نصوص محمد جاد، إعداد نيازى عمران، تقديم ورسوم محمود الهندى - العدد ٢٥١ يوليو.

٨- امجاد القديس «شارون»، شعر إريش فريد، ترجمة وتقديم د. يسرى خميس، رؤية ورسوم: محمود الهندى، العدد ٢٥٢ أغسطس.

٩ - قصائد فى حب لبنان وفلسطين، إعداد وتقديم: حلمى سالم، العدد ٢٥٣ سبتمبر.

١٠- زعبلاوى، قصة نجيب محفوظ، العدد ٢٥٤ اكتوبر.

١١- محبوب الشمس، مختارات من قصص يحيى الطاهر عبد الله، اختيار

وتقديم: حلمى سالم - العدد ٢٥٥ نوفمبر.

١٢- ثمانون احمد فؤاد نجم.. انا رحت القلعة وشفت ياسين. إعداد وتقديم: حلمى سالم، العدد ٢٥٦ ديسمبر.

٣ - إشارات: الكاتب رجاء النقاش

١ - الفريد فرج، العدد ٢٤٥ يناير

٢ - فؤاد قاعود، العدد ٢٤٦ فبراير

٣ - فاروق شوشة، العدد ٢٤٨ إبريل

٤ - محمد الماغوط، العدد ٢٤٩ مايو

٥ - عبد السلام العجيلى، العدد ٢٥٠ يونيو

٦ - يوسف درويش، العدد ٢٥١ يوليو

٧- نبيل الهلالى، العدد ٢٥٢ اغسطس

٨ - احمد مستجير العدد ٢٥٤ اكتوبر

٩- مسدس العقاد، العدد ٢٥٥ نوفمبر

١٠- قلم اخضر وعين حمراء العدد ٢٥٦ ديسمبر

٤- منتدى الأصدقاء والكتب: فى الأعداد ٢٤٦ فبراير - ٢٤٧ مارس - ٢٤٨ إبريل - ٢٥٣ سبتمبر - ٢٥٥ نوفمبر - ٢٥٦ ديسمبر.

(أ)

ابتسام المتوكل: شرفات (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

ابتسام الدمشاوى: قصص قصيرة - العدد ٢٥٤ اكتوبر.

إبراهيم ابو طالب: الخطاب الروائى اليمنى.. رؤية مختصرة فى المسيرة والمضمون (ملف عن الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢ اغسطس.

إبراهيم خطاب، هشيم النخل - شعر، العدد ٢٤٨، إبريل.

ابو الحسن سلام، مسرح إبسن بين الثابت والمتحول - دراسة - العدد ٢٥٦، ديسمبر.

احمد القصير، زملاء واحداث أيام الدراسة (ملف عن عطية الصيرفى) العدد ٢٥٠، يونيو.

احمد اللاوندى، إذا النبض اخرسه السيدون - شعر، العدد ٢٥٤، اكتوبر.

احمد العواضى، اسنة القربى (شعر - ملف الأدب العربى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

احمد السلامى، تتدحرج عملة فى سلم النفق (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

احمد درويش، الخطاب الإرهابى فى ضوء الفكر الأصولى المعاصر - دراسة - العدد ٢٥٠، يونيو.

احمد رشاد حسانين، عشر سنوات على رحيل لطيفة الزيات، ذكرى - العدد ٢٥٣، سبتمبر.

احمد صبرى السيد، المهمشون فى التاريخ الإسلامى - كتاب - العدد ٢٤٩، مايو.

احمد محمد عبده، الخليفة - قصة - العدد ٢٤٩، مايو.

احمد نبوى، قصيدتان - العدد ٢٥٤، اكتوبر.

السماح عبد الله، قصيدتان - شعر - العدد ٢٤٥، يناير.

- المتجردة - شعر العدد ٢٥٣، سبتمبر.

السيد زهرة، سيد درويش.. فنان الشعب - دراسة، العدد ٢٤٧، مارس.

- أغنية الغضب، واغنية الرضا - دراسة - العدد ٢٤٨، إبريل.

اشرف ابو الحمد الخطيب، للبيوت وش صابر - شعر ، العدد ٢٥٤، اكتوبر.

امجد ناصر، قصائد الكتلة - شعر - العدد ٢٥٥ نوفمبر.

امنية فهمى، خالد يوسف، انا مختلف عن يوسف شاهين - حوار ، العدد ٢٤٧،

مارس.

- السينما المصرية فى كبوة - حوار مع محمد خان - سينما - العدد ٢٥٥ نوفمبر.

امينة زيدان، زوجة عاقلة - قصة - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

امير احمد، محطة القطار - قصة - العدد ٢٥٤ اكتوبر.

أمل الجمل، شخصيات سينمائية عربية تحلق فى آفاق عالمية، سينما العدد ٢٤٦، فبراير.

- الإنتاج السينمائى المصرى - الأوروبى المشترك - سينما - العدد ٢٤٩، مايو.

امل خالد، قصتان من وحى التجربة (قصة - ملف عام على محرقة بنى سويف) العدد ٢٥٣، سبتمبر.

الطاهر شرقاوى، قدم تصلح للفرجة، قصة العدد ٢٤٦، فبراير.

أيمن بكر، حاتم الصديق اللدود، تحية - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

إيمان السعيد جلال، رؤية محمد مندور فى السياسة والاقتصاد والاجتماع - رؤية - العدد ٢٤٨، إبريل.

- محمد مندور والقضية الوطنية - رؤية - العدد ٢٤٩، مايو.

- محمد مندور.. رائدا اجتماعياً - رؤية - العدد ٢٥١، يوليو.

- محمد مندور وقضية فلسطين - دراسة - العدد ٢٥٢، اغسطس.

- طبائع الاستبداد .. والحرية الغائبة - دراسة - العدد ٢٥٤، اكتوبر

إيمان عبد المؤمن ، الطيور المهاجرة وقصص اخرى - كتاب - العدد ٢٤٩، مايو.

- بشار كمال والأدب التركى، ترجمة - العدد ٢٥٢ - اغسطس.

(ب)

بدر الديب، الغبغب - شعر، العدد ٢٤٧، مارس.

بهاء جاهين، جرس - شعر ، العدد ٢٥٦، ديسمبر.

(ت)

توفيق حنا: الموسيقى القبطية فى مصر- كتاب - العدد ٢٤٥ يناير.

- العبودية المختارة - كتاب - العدد ٢٤٦، فبراير

- الأفغانى وتلاميذه.. وثائق مجهولة - تراث - العدد ٢٤٨، إبريل.

- غالى والنقاش وعميد القص (ملف عن نجيب محفوظ) العدد ٢٥٤ اكتوبر.

(ج)

جمال البنا: المسيحية واليهودية فى الإسلام (ملف الإسلام بين الحرية وحوار الأديان). العدد ٢٥٦، ديسمبر.

جمال جراحى: البنت اللى تشبه بطلات السيما - شعر ، العدد ٢٤٦، فبراير.

- كان ممكن تتصور - شعر ، العدد ٢٥٤، اكتوبر.

جمال مقار: ابن أبيه ومشاكسة الأمكنة - مسرح - العدد ٢٤٥ يناير.

جهاد الرملى: حوار لم ينشر مع عميد الرواية العربية - ملف عن نجيب محفوظ - العدد ٢٥٤، اكتوبر.

(ح)

حافظ أبو سعدة: إشكاليات المجتمع المدنى وسبل الحل - دراسة - العدد ٢٤٩، مايو.

حاتم عبد العظيم: ١ - الجنة حياة تساوى الموت.

٢ - الفجيعة فجوة بعمق الجحيم

٣ - ثقب فى جسد الظل (ثلاثة محاور للرؤية).

٤- إشكالية قصيدة النثر.

٥- النص السردى وتفعيل القراءة.

ملف عن الراحل حاتم عبد العظيم قدمت فيه المجلة هذه المجموعة من مقالاته ودراساته - العدد ٢٥٤ - اكتوبر.

حباب بدوى: احزان فى منتصف الطريق - شعر - العدد ٢٥٣، سبتمبر.

حسن اللوزى: البرزخ.. قبل خلط الماء (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

حسن ابو النصر: قصائد (ملف عام على محرقة بنى سويف) العدد ٢٥٣ سبتمبر.

حسن طلب: رجع الصدى - شعر - العدد ٢٥٦، ديسمبر.

حسن يوسف: صورة الاشتراكى عند نجيب محفوظ - نقد - العدد ٢٤٥ يناير.

- صلاح جاهين وبئر الكلمات - المصوراتى - العدد ٢٥١ يوليو.

حلمى سالم: الشعر العربى الحديث، المنبع والمصب.. دراسة العدد ٢٤٧، مارس.

- ربع قرن على رحيل الفارس القديم - فى ذكرى صلاح عبد الصبور - العدد ٢٥٣ سبتمبر.

- مثلث الشعر والأنوثة واللاهوت - كتاب العدد - العدد ٢٥٤، اكتوبر.

- الإسلام والحرية.. عناق أم فراق - مقال - ملف الإسلام بين الحرية وحوار الأديان - العدد ٢٥٦ ديسمبر.

(خ)

خالد البلتاجى: آليات التشكيل فى صمت الرمل - نقد، العدد ٢٤٩، مايو.

خالد أشرف عامر: الممر - قصة- العدد ٢٥٢، اغسطس.

خالد الرويشان: لا شىء يومض فى هذه المدينة (قصة - ملف - الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

خالد حريب: المرايا - شعر، العدد ٢٤٩، مايو - أحزان فرحانة - شعر - العدد ٢٥٣، سبتمبر.

خلود المعلا: غيمة تعرف موعدها - شعر ، العدد ٢٥٥، نوفمبر.

خورشيد إقبال: الشعر العربى فى الهند - دراسة - العدد ٢٤٥ يناير.

- مؤلفات الهنود على مر العصور - دراسة - العدد ٢٤٧، مارس.

- إسهامات علماء الهند فى وضع المعاجم اللغوية - مقال، العدد ٢٥١، يوليو.

(ر)

راتب سكر، عبد العزيز المقالح فى القاهرة (مقال - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

- بطاقة شكر للخصوم - شعر - العدد ٢٥٤، اكتوبر.

رجب الصاوى، صرخة - شعر ، العدد ٢٤٥، يناير.

رفعت السعيد، عرضحالجى الطبقة العاملة (ملف عن عطية الصيرفى) - العدد ٢٥٠، يونيو.

ريهام زين الدين، اغنية الشعب، هوية الوطن - دراسة (ملف يوم الأرض الفلسطينى) العدد ٢٤٨ إبريل.

ريم حسن شحاتة، رحلة سلام - نص مسرحى، العدد ٢٤٨، إبريل.

(ز)

زين العابدين فؤاد، اعتذار عن كتابة قصيدة - شعر - العدد ٢٥٢، اغسطس.

(س)

سامى الغباشى، امراة واحدة - شعر، العدد ٢٤٩، مايو.

سامح محجوب، يوميات حذاء - شعر ، العدد ٢٤٩، مايو.

سعد هجرس، الدين والسياسة.. موقف اليسار فى زمن المد الدينى - مقال - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

سعيد عبد الموجود، مخلوقات صغيرة - قصة - العدد ٢٤٩، مايو.

سعيد توفيق، نظرية الفن عند صلاح قنصوة - كتاب العدد - العدد ٢٥١، يوليو.

سفين سعد، فتاة الإثم - قصة - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

سليمان دغش، جنين - شعر (ملف يوم الأرض الفلسطينى) العدد ٢٤٨، إبريل.

سمير الأمير، عن ملفات الأدب فى الأقاليم - راى - العدد ٢٤٩، مايو.

سمير ابو الفتوح، فصل من رواية شوشا، تاليف : إسحق باشيفيس سنجر - ترجمة - العدد ٢٥٠، يونيو.

سمير عبد الباقى، صلاة ريفية فى وداع نجلاء رافت - شعر، العدد ٢٥١، يوليو.

سمير عبد الفتاح، ما تيسر لحلم (قصة - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

سوسن العريقى، مقاس عربى (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

سوسن عمر، سريالية - قصة، العدد ٢٤٦، فبراير.

سيف الرحبى، نور قليل راشح - شعر، العدد ٢٥٠، يونيو.

(ش)

شعبان يوسف، فاطمة زكى .. سيدة فبراير - المصوراتى، العدد ٢٤٧، مارس.

شوقى بدر يوسف، راس إسماعيل بين حلم الأيديولوجيا واستلاب الواقع - نقد - العدد ٢٥١، يوليو - «إخناتون» .. بين عادل كامل، ونجيب محفوظ - ملف عن نجيب محفوظ - العدد ٢٥٤، اكتوبر.

شوقى فهيم، شموع .. شعر كفافيس - ترجمة، العدد ٢٤٧، مارس.

(ص)

صبحى شحرورى، أدب المقاومة الفلسطينية بين السجن والحرية - دراسة، العدد ٢٤٨ إبريل.

صلاح السردى، صانع القيود والقلق الإنسانى - نقد - (عن مجموعة: صانع القيود ليوسف جبر) - العدد ٢٥٠، يونيو.

صلاح الشامى، هواجس (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

صلاح جاد، خداع - شعر - العدد ٢٤٩، مايو.

صنع الله إبراهيم، رؤية طازجة من الأطراف (ملف عن عطية الصيرفى) - العدد ٢٥٠، يونيو.

(ط)

طارق إمام، كفافيس - قصة - العدد ٢٤٧، مارس.

(ع)

عارف البرديسى، الفقر - شعر - العدد ٢٥١، يوليو.

عاطف سليمان، إنجاب وجه الأسلاف على جبل لبنان - وجه - العدد ٢٥٤، اكتوبر.

عالية ممدوح، جيوب مثقلة بالحجارة والألم - كتاب، العدد ٢٤٨، إبريل.

عباس بيضون، الشعر العربى الحديث.. الضرورة والاستمرار «دراسة، العدد ٢٤٧، مارس.

عبدالله عرايس، أحزان البروليتاريا - شعر - العدد ٢٥٣ سبتمبر.

عبد الحميد البسيونى، وردة برسم القلب، قصة، العدد ٢٤٦، فبراير.

عبد الوهاب الشيخ، عصافير وزهور، شعر، عسارة كيرتشى - ترجمة - العدد ٢٤٩، مايو.

عبد الرحمن أبو عوف، باموك وملحمة الأجيال فى تركيا المعاصرة - دراسة - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

عبد الرحمن غيلان، من مذكرات ضحية (شعر، ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

عبد السلام العطارى، ملامح زينب حفنى فى رام الله - نقد - العدد ٢٥٠، يونيو.

عبد السلام صبحى، غزو وغزو مضاد - شعر - العدد ٢٥٤، اكتوبر.

عبد العزيز المقالح، ما تيسر من رعشة الخوف (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.

عبد الغنى داوود، النرويجى .. سيد البنائيين (ملف عن إبسن) العدد ٢٥٦، ديسمبر.
عبد الوهاب الحراسى، نشوة الماء (شعر ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.
عبد الحميد كمال ، أولاد الأرض .. تجربة مقارنة - ملف - العدد ٢٥٣ ، سبتمبر.
عبد الولى الشميرى، بلا عنوان (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.
عبد الناصر صالح، وجه الغزالة.. ماس جدائلها - شعر، العدد ٢٤٩، مايو.
عزة رشاد، عينا أمى - قصة - العدد ٢٤٥ يناير.
- بنى سويف.. وماذا بعد - تحقيق عن محرقة بنى سويف - العدد ٢٥٣ سبتمبر.
عزيز تعلب، قصائد قصيرة - شعر ، العدد ٢٥٦ ديسمبر.
عمر حاذق، لحظة - شعر - العدد ٢٤٥، يناير.
على المقرى، يحدث فى النسيان (شعر ، ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.
على دهيس، كأنما نتمشى فى أصابع خائفة (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد، ٢٥٢، اغسطس.
على عوض الله كرار، مصطفى العقاد وقطاع الطرق - سينما - العدد ٢٤٥ يناير.
على مبروك، الأشعرية.. تاسيس نفى الآخر - دراسة - العدد ٢٥٠ يونيو.
- البهائية.. او الاستجابة الما قبل حداثية للحداثة- قضية - العدد ٢٥١، يوليو.
عهدى چورج، نساء - شعر ، العدد ٢٥٥، نوفمبر.
عواد ناصر، امراة مشعة - شعر (تحية لنعمات البحيرى) - العدد ٢٥١، يوليو.
عيد صالح، العاشق - شعر - العدد ٢٥٣، سبتمبر.

عيد عبد الحليم: نزار سمك.. الطفل المتمرد- المصوراتى - العدد ٢٤٥ يناير.

- الهتافات الشعبية.. يقين الحناجر الثائرة - ملف المقاومة وادب المهمشين - العدد ٢٤٦، فبراير.

- عن النوبة وادول وغضب المثقفين - قضية - العدد ٢٤٧، مارس.

- شريعة الغرباء - شعر ، العدد ٢٤٨، إبريل.

- تقديم ملف الأدب اليمنى وإعداده - العدد ٢٥٢، اغسطس.

- تقديم ملف عام على محرقة بنى سويف - العدد ٢٥٣ سبتمبر.

- عطر الأحباب - كتاب (عام على محرقة بنى سويف) العدد ٢٥٣، سبتمبر.

- فى الشعر الجاهلى.. طه حسين والحفر عن الجذور - مقال، العدد ٢٥٥، نوفمبر.

- سمير سرحان والمقهى السياسى - تحية - العدد ٢٥٥ نوفمبر.

(غ)

غادة عبد الظاهر: انظر - قصة - العدد ٢٤٥، يناير.

غازى الزيبة: حاسة مشوشة - شعر - العدد ٢٤٥، يناير.

غادة نبيل: شمس الدين وزلزال الجنوب - شاعر وقصيدة - العدد ٢٥٣ سبتمبر.

- سلة ملأى بالموج - شعر - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

غزالى: قصائد من كابتن غزالي - شعر - العدد ٢٥٣، سبتمبر.

(ف)

فاطمة ناعوت: شجرة الكرز المشقوقة، قصة جيس ستيورات - ترجمة - العدد ٢٥١، يوليو.

- خمس سنوات على تدمير البرجين - ترجمة وتقديم - العدد ٢٥٣ سبتمبر.

فخرى لبيب: البرئ - قصة - العدد ٢٤٨، إبريل.

فريدة طه: اعتذار لمروان البرغوثى - شعر ، العدد ٢٤٧، مارس.

فريدة النقاش، من أدب التحريض السياسى - ملف المقاومة وأدب المهمشين ، العدد ٢٤٥، فبراير.

- محمود الشاذلى وتنويعات على لحنى الصمود والولادة - نقد - العدد ٢٤٩، مايو.

- ثقافة المقاومة فى ظل العولمة - دراسة - العدد ٢٥١، يوليو.

- المقاومة ونقد الثقافة - دراسة - العدد ٢٥٢ اغسطس.

- تقديم دراسة إريك فروم بترجمة وسام رجب.

- إبسن بعد مائة عام - ملف - العدد ٢٥٦، ديسمبر.

(ق)

قاسم حداد، الأزمنة فى مكان آخر غير الشعر، رؤية - العدد ٢٤٦، فبراير.

- لا تدعها تنكسر - نص - العدد ٢٥٦، ديسمبر.

قاسم مسعد عليوة، البنى الثقافية السائدة والتغيير، جر شكل - العدد ٢٤٦، فبراير.

(ك)

كمال الدين عيد، ثقافة المعارض الفنية - تشكيل، العدد ٢٤٨، إبريل.

- ثقافة المعارض الفنية.. مناهج التعبير - تشكيل، العدد ٢٥٥، نوفمبر.

- عصر إبسن - ملف - العدد ٢٥٦، ديسمبر.

كمال رمزى، مصطفى العقاد.. شعاع من نور - وجه، العدد ٢٤٦، فبراير.

(م)

مازن نبيل، وردة صفراء - قصة - العدد ٢٥٢، اغسطس.

مجدى توفيق، الزهرة والكف - نقد (قراءة فى ديوان فاطمة ناعوت) - العدد ٢٤٥ يناير.

- ادب المهمشين - ملف المقاومة وأدب المهمشين - العدد ، ٢٤٦، فبراير.
مجدى عبد الحافظ: الفكر الأخلاقى العربى - كتاب - العدد ٢٤٧، مارس.
محمد السيد إسماعيل: قصائد قصيرة - شعر - العدد ٢٤٥، يناير.
محمد التونى: أسيل صمغا عند كل وردة - شعر ، العدد ٢٥٦، ديسمبر.
محمد الحبش: غواية التفكير التآمرى - مقال - العدد ٢٥١، يوليو.
محمد الخياط: الولد الذى أكل الموز بقشره (ملف عن عطية الصيرفى) - العدد ٢٥٠، يونيو.
محمد القعود: لقطة جانبية (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، اغسطس.
محمد حافظ دياب: تجريف الديمقراطية على الطريقة الأمريكية - كتاب العدد - العدد ٢٥٥، نوفمبر.
محمد حسن العون: علاقات جديدة - قصة - العدد ٢٤٥، يناير.
محمد حسن على: الجواد - شعر ، العدد ٢٤٩، مايو.
محمد حسن هيثم: بانتظار الملاك على الأرصفة (شعر - ملف الأدب اليمنى) العدد ٢٥٢، أغسطس.
محمد شمخ: قصص قصيرة - العدد ٢٥٦، ديسمبر.
محمد عبد الشفيع عيسى: ظروف نشأة الأمة العربية - دراسة، العدد ٢٥٠، يونيو.
محمد عنانى: عبد العزيز حمودة - تحية - العدد ٢٥٤، اكتوبر.
محمد رفاعى: الضحى - قصة، العدد ٢٥٠، يونيو.
محمد كمال: مصطفى عبد الوهاب قوة الجذب وطاقة الخلاص، فن تشكيلى - العدد ٢٤٥ يناير.
- اغلفة السجينى .. بارود فى ورد .. تشكيل.. العدد ٢٥٠، يونيو.
مختار العطار: هجرس وفطرة الحجارة - المصوراتى - العدد ٢٤٦، فبراير.
مديحة أبو زيد: المؤتمر الدولى الرابع للنقد الأدبى - نقد - العدد ٢٥٦، ديسمبر.

معين شلبية، الموجة عودة - شعر (ملف يوم الأرض الفلسطينى) - العدد ٢٤٨، إبريل.

مصطفى عبادة، كشاف ادب ونقد - العدد ٢٤٥ يناير.

منال خميس، كلاكما قربان - قصة (ملف يوم الأرض الفلسطينى) العدد ٢٤٨، إبريل.

منى حسن نجم، المؤتمر العلمى للمسرح - مسرح - العدد ٢٥٤، اكتوبر.

مى عبد الصبور، صليب الشيطان - قصة - العدد ٢٥١، يوليو.

- السيف الأزرق - قصة - العدد ٢٥٦، ديسمبر.

مؤمن سمير، احمد على سليمان الذى رأى كل شىء - شهادة (ملف عام على محرقة بنى سويف) العدد ٢٥٣، سبتمبر.

مهدى بندق، المدخل إلى علم الإهانة- شعر - العدد ٢٤٧، مارس.

محمود إسماعيل، ذهنيات العوام بين المسكوت عنه واللامفكر فيه، ملف المقاومة وادب المهمشين - العدد ٢٤٦، فبراير.

- البهائية بين الدين والسياسة - قضية - العدد ٢٥١، يوليو.

- المقاومة فى الخيال الشعبى (على الزيبق) - دراسة - العدد ٢٥٢، اغسطس.

- ملحمة بنى هلال، دراسة - العدد ٢٥٣ سبتمبر.

- مرجعية ابن خلدون - (ملف الإسلام وحوار الأديان) العدد ٢٥٦، ديسمبر.

محمود الحلوانى، قصائد - شعر - العدد ٢٥١، يوليو.

محمود الشاذلى مزامير العهد الرجيم - شعر، العدد ٢٤٧، مارس.

- ٢٠٠٦ - شعر - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

محمود الغيطانى، عمارة يعقوبيان.. مصر المهترئة تحتضر - سينما - العدد ٢٥٣، سبتمبر.

محمود خير الله، بكل وضوح - شعر ، العدد ٢٤٩، مايو.

محمود درويش، بيت الجنوبى - شعر (ملف يوم الأرض الفلسطينى) - العدد ٢٤٨، إبريل.

(ن)

(هـ)

٢٥٢، اغسطس.

هند طه، التصاق - قصة - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

هدير الصافورى، صوت جديد - سوء تفاهم - قصة - العدد ٢٤٥ يناير.

(و)

وليد علاء الدين، قراءة فى تحولات الشخصية المصرية - دراسة - العدد ٢٤٩، مايو.

- هناك على الإفريز - شعر ، العدد ٢٥٥، نوفمبر.

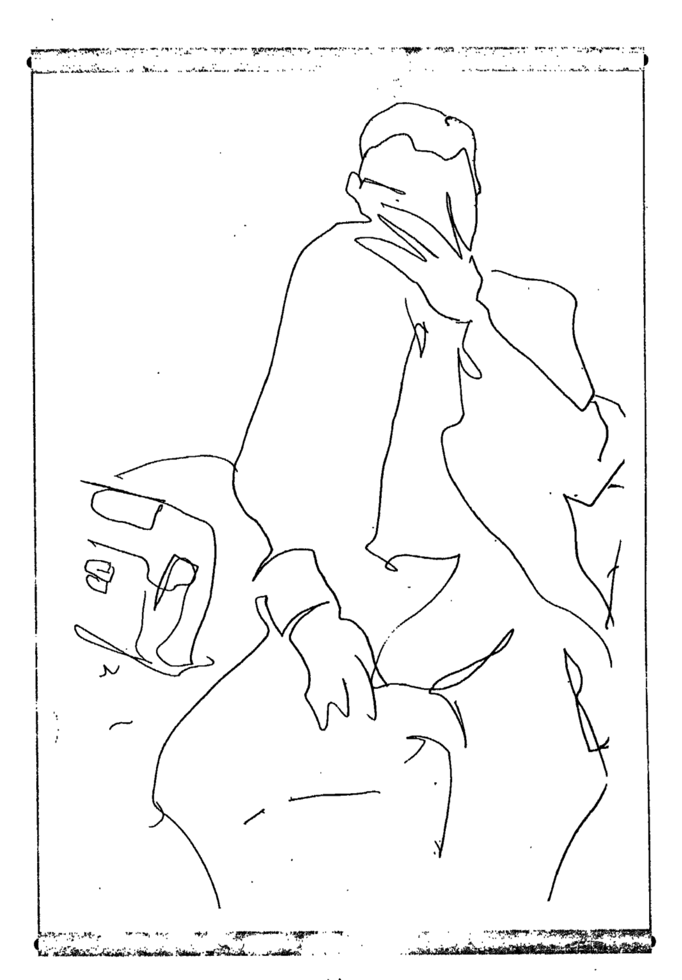
وديع امين، الرازى.. الطبيب الفيلسوف - صناع الحضارة - العدد ٢٥٠، يونيو.

(ى)

ياسر عبده، أخطاء المونتاج - نص، العدد ٢٤٦، فبراير

ياسر عثمان، الأحمر القانى - قصة - العدد ٢٥٥، نوفمبر.

يزيد الديراوى، الدور على الغرباء - شعر - العدد ٢٥٢، اغسطس.



وثائق

بيانات قضية الحجاب

تجمع القاهرة
سيناريو الفوضى

مصر إلى اين؟ سؤال مهم وضرورى ففى عالم تتسابق فيه الدول من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والبشرية والتقدم والعدل والحرية والمساواة والديمقراطية نجد من يشدنا لحوار عقيم خارج هذه القضايا المصيرية، وفى الوقت الذى تشتعل فيه حولنا الفوضى من كل جانب فى لبنان والعراق وفلسطين والسودان نفاجأ بمن يريد أن يقذف بنا فى موقع القلب من هذه الفوضى، وقد ساهمت وتساهم وسائل الإعلام - التى لا هدف لها سوى الإثارة والتخبطات العشوائية - فى شدنا نحو هذه الحوارات العقيمة وفى القذف ببلادنا فى قلب دوائر الفوضى المدمرة.

هذه هى الحقائق المرة خلف سيناريو التشنج والهيستريا الذى انطلق بعد تصريحات السيد فاروق حسنى وزير الثقافة حول رأيه فى الحجاب، والخطير فى الأمر أن سيناريو الفوضى هذا قد ظهرت أكثر حلقاته تطرفا وتشنجا وهيستيرية فى جلسة لمجلس الشعب المصرى صاحب الأغلبية البرلمانية للحزب الحاكم، وعلى لسان نواب الحزب الوطنى الحاكم وكأنهم ينافسون ويزايدون على نواب الإخوان حيث قاد هؤلاء النواب من أعضاء الحزب الحاكم وزملاء السيد الوزير حفلة من الخطابات الهيسترية حفلة من الصراخ. فتطايرت الكلمات والألفاظ التى تقطر تطرفا وتشنجا لا يليق بأى حوار ولا يليق بأى برلمان وظهر نواب الوطنى وكأنهم فى حفلة لذبح وزير الثقافة وهو أمر مختلف عن استجوابه أو سؤاله او مناقشته عن طريق الأدوات البرلمانية السليمة.

فهل أراد نواب الحزب الحاكم أن يقدموا السيد وزير الثقافة قربانا أو كبش فداء

للتغطية على أخطائهم وخطاياهم وسمعتهم التى تدهورت بين الناخبين فى دوائرهم؟ أم تصوروا أنهم بما فعلوا سيتعامل الناس معهم وكأنهم حماة للدين؟ أم تصوروا انهم بذلك يدافعون عن الدين؟ أم أنهم فى الحقيقة كانوا يحاولون التغطية على عجزهم عن القيام بأى دور رقابى داخل مجلس الشعب ضد الفساد والبطالة والغلاء والقضايا الحقيقية التى تهم الناس؟

لقد صرح وزير الثقافة برأيه فى الحجاب، وإبداء الرأى فى اى قضية او مسألة من مسائل الدين حق تكفله الشرائع السماوية قبل الدساتير والقوانين الوضعية فلا كهنوت فى الإسلام هذه الحادثة قد كشفت لنا عن خطورة المناخ الفكرى والسياسى والثقافى السائد وبينت أن هذا المناخ معاد لحرية الرأى، معاد للاختلاف، معاد للاجتهاد معاد للحوار، معاد للتمنى كما بينت أن هذا المناخ مسمم بالتعصب والتطرف ، والطائفية، والتمييز، وبينت أن الدين فى ظل هذا المناخ قد تحول عن جوهره وأهدافه العامة ومقاصده فى العمل والحرية والمساواة وأصبح على رأى دعاة التطرف والتعصب ليس أكثر من بعض المظاهر الشكلية وكأن الإسلام مجرد حجاب أو نقاب أو لحية او جلباب قصير أو زى معين.

لكن هذه الحادثة لم تكشف عن مناخ التعصب والتطرف والاستبداد والطائفية فقط فما فعله الحزب الحاكم ضد وزير الثقافة فى حفلة المزايدة من التشنج والهيستيريا والذبح فى جلسة البرلمان ليست أقل من إشارة جديدة على انهيار مقومات الدولة المدنية وإشارة على اتساع الشرخ فى كيان الحزب الوطنى الحاكم وتآكل بنيته المدنية وإشارة على نضج الثمار المرة لاتساع ظواهر الخلط بين الدين والسياسة. كانهيار مدنية البرلمان. وانهيار مدنية التشريع، وانهيار مدنية الدولة إن الدولة المدنية فى خطر خلال والمجتمع المحلى فى خطر.

حزب التجمع أمانة القاهرة

بيان حزب التجمع
رداء الدين لا الدين

أثارت تصريحات منسوبة إلى الفنان فاروق حسنى حول موضوع الحجاب ضجة كبيرة لعلها جاءت تناغماً مع أفكار جماعة سياسية معينة أرادت أن تنتهز هذه الفرصة لأحداث ضجيج سياسى مغلف برداء دينى.

ولعله من المثير للدهشة أن ينساق عديد من أعضاء مجلس الشعب من أعضاء الحزب الحاكم بل وبعض رموزه للرقص على طبول هذه الجماعة. كما يثير الدهشة أن أطلق البعض تصريحات يمكن أن تعتبر تعريضا بقطاع عريض من النساء غير المحجبات.

إن مثل هذا المهرجان غير منطقى أنما يصب فى غير صالح الدين السمح وفى غير صالح حرية الراى والفكر ويخلق مناخاً ظلامياً لن يستفيد منه لا دين ولا وطن ولا قضية الديمقراطية وإنما سيستفيد منه فقط التيار الظلامى الذى وجد من يساعدونه ويدعمونه حتى من بين صفوف الحزب الحاكم وصحافته المسماه بالقومية.

إننا وبهذه المناسبة نسترجع الذات المصرية الحقيقية فى تقبل الراى والراى الآخر حول هذا الموضوع.

فالشيخ رفاعة الطهطاوى كتب فى كتابه «مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية» «إن وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتى من كشفهن أو سترهن بل ينشأ ذلك من التربية الجيدة أو التربية الخسيسة.

وقاسم أمين أصدر كتابيه «تحرير المراة» و«المرأة الجديدة» وقائدات النهضة الوطنية عبر ثورة ١٩١٩ وما بعدها وعلى راسهن صفية زغلول وهدى شعراوى وسيزا نبراوى اعتبرت أن التخلى عن «اليشمك» جزءاً من معركة تحرير المراة..

كان ذلك كله دون أن تقوم مثل هذه الضجة التى ارتدت ثياباً دينية وما هى كذلك بل مجرد دعوة لكبت كل راى وكل فكر.. ومحاولة لانفراد جماعة بذاتها بالحق فى الحديث عن الحلال والحرام. والغريب فى ذلك كله هو انسياق أعضاء ورموز من الحزب الحاكم مجلس الشعب فى هذه الموجة.

إن حزب التجمع يدعو الحزب الحاكم إلى ضبط تصرفات وتصريحات ومواقف أشخاص ورموز ينتمون إليه كى لا يضاف إلى المناخ الظلامى الذى تحاول هذه الجماعة فرضه على المجتمع قوة تتمتع بالنفوذ الحكومى وتستند إليه فتزيد من ظلامية هذا المناخ.

إن الأمر جد لاهزال فيه وهو متعلق بمصير الوطن ومستقبله وهو قبل هذا وذاك متعلق بصحيح الدين وصحيح تعامله مع الرأى المخالف.. ومن هنا فإن حزب التجمع يطالب الحزب الحاكم بأن يعيد حساباته ويضبط تصرفات أعضائه ورموزه.

الأربعاء ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٦

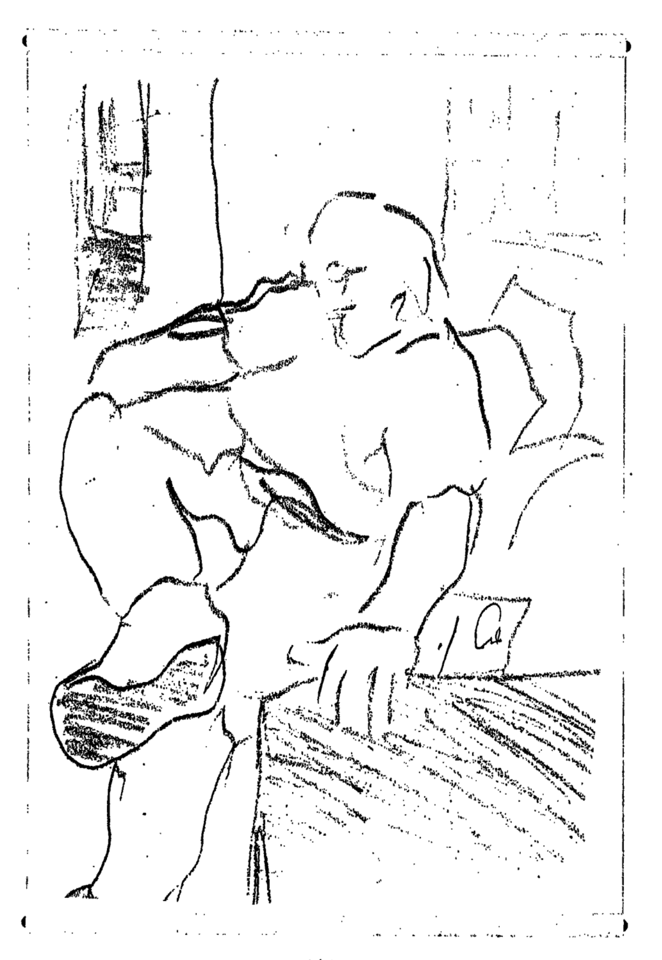
بيان الحزب الدستورى

موجة مكارثية

الحزب الدستورى يحذر من تصاعد الموجات المكارثية ونشر ثقافة التكفير فى المجتمع يستنكر الحزب الدستورى الاجتماعى الحر ،وبشدة، ردود الفعل الغاضبة والمتشنجة التى تصايحت بها أصوات من الأغلبية والمعارضة - على حد سواء - داخل مجلس الشعب وخارجه، بل زايد بعضها على الآخر تجاه تصريحات كان وزير الثقافة فاروق حسنى قد أبدى فى شأنها برأى شخصى فى قضية خلافية تجاه الزى الذى ترتديه بعض المحجبات. مما لا يمكن اعتباره رأيا أو موقفا رسميا من جهة وزارة الثقافة أو الوزير أو الحزب الحاكم - يحق للمؤسسة التشريعية أن تحاسب الوزير الحكومة عنه - وقد كان الأجدر بمجلس الشعب أن يطرح الثقة بوزير الثقافة فاروق حسنى وأن ينصب له محاكمة جادة وفاعلة لا عن رأيه الشخصى كفنان فى جماليات الحجاب وإنما عن سياسته وكذلك سياسات الإعلام الرسمى التى أدت وتؤدى إلى مزيد من تسطح الثقافة المصرية واجتياح فكر البداوة وفقه التصحر والتحلل الخلقى لجوهرها الحضارى والإيمانى العظيم!

وإذ يحذر الحزب الدستورى من مغبة تصاعد الموجات القمعية المكارثية التى يتزايد حصارها يوما بعد آخر للمساحات المحدودة المتاحة للحريات السياسية والمدنية - مستخدمة فى ذلك وسائل الإرهاب والقهر الفكرى والمعنوى، والمصادرة على حرية التعبير والرأى وساعية إلى نشر ثقافة التكفير للأفراد والمجتمع - بما سلب ويسلب روح الأمة ويصادر على مبادرات البناء والإبداع وعلى فرص التقدم والإزدهار للوطن.

والآن - وبعد أن أصبح الصمت جريمة فى حق أجيال الحاضر والمستقبل، والسلبية تخاذلا واستسلاما.



فإن الحزب الدستورى، فى المواجهة مع كل الموجات الارتدادية التى تقودها مافيا الفساد السياسى والاجتماعى. وكذلك القوى الظلامية التى تتمسح فى الدين وتتسربل بمسوحه. يرى الحزب أنه قد حان الوقت لكى تتجمع القوى الوطنية والقوى الديمقراطية الليبرالية المشتتة وأن تستعيد توازنها وقواها من أجل الدفاع ،بلا تردد ولا وجل، عن دعائم وكيان الدولة والحياة المدنية. وترسيخ دعائمها التى لا تقوم إلا على أسس من ثقافة دافعة ونافعة للتقدم لا التخلف، وعلى إيمان بصير وتدين مستنير، وعلى دعائم راسخة للشرعية الدستورية والحياة الديمقراطية غير المنقوصة وحقوق المواطنة المتكافئة الكاملة.

وكيما يكون المواطن بحق مواطنا حرا فى وطن حر فى ظلال الحرية والاستنارة والعدل.

وعاشت مصر حضارة مجيدة وحاضرا ومستقبلا واعدا.

ممدوح قناوى

رئيس الحزب الدستورى الاجتماعى الحر

بيان «مصر الفتاة»
طعنة فى الظهر

بعيدا عن الصراعات الداخلية فى حزب «مصر الفتاة» أصدر أحد المتنازعين عليه بيانا مفاجئا يدين فيه تصريحات وزير الثقافة قائلاً:

تتوالى التصريحات غير المبررة من مسئولين من المفترض أن يكونوا قدوة ورموزا للشعب وتأتى الكارثة الكبيرة حين يصرح وزير الثقافة المصرى بتصرحيات يكسر فيها الثقافة المصرية الخالصة والموروث الثقافى والتاريخى والعقائدى لشعب محافظ على مر العصور.

طعنة الوزير تزيل ما تبقى من احترام المثقفين علاوة على سحب ثقة المواطن الكاملة منه كممثل للثقافة المصرية. فالحجاب الذى يكرهه سعادة الوزير ليس وليد الدين الإسلامى فى مصر فقط، بل هو وليد ثقافة إيمانية محافظة فى كل الأديان السماوية التى عاشت ونمت فى حضن مصر ورعايتها آمنة من كل محاولات اقتحامها من أعداء

الدين والقيم.

ولا يوجد مبرر لما صرح به الوزير حتى لو كانت هناك مجموعة ترتدى الحجاب لأغراض غير التدين أو المحافظة.. لأن الحجاب يخص صاحبه اكثر من ان يخص الآخرين.

فالمرأة على مر العصور ،كانت الجوهرة، التى يحافظ عليها رجالنا ويبحثون عن درء الفتن عنها.

وإذا لم يكن معالى الوزير يعرف أن الحرية هى فى الأساس ترك ما لا يعنيه وعدم إبداء رأى فيما ليس هو من اختصاصه لكان علم أن تصريحات مثل هذا لا يليق أبداً بوزير ثقافة يحافظ على الموروثات أكثر من حفاظ أية جهة وزارية أخرى.. وعدم تقديم اعتذار يؤكد أنه تعالى وتكبر على الثقافة المصرية والعربية. ونطالب بإقالته الفورية.

ونحن نتبرأ من مثل تلك التصريحات وندينها ونسأل السيد رئيس الوزراء وسيادة رئيس الدولة أن يتدخل للحفاظ على هويتنا التى يشوهها من المفترض أن يكون أول المدافعين عنها.

حسين راشد

أمين لجنة إعلام حزب مصر الفتاة ونائب رئيس الحزب

بيان الجماعة الإسلامية
لماذا لا يستقيل؟

أسباب كثيرة تدعونا إلى مطالبة وزير الثقافة بأن يرحل عن كرسى الوزارة بل عن العمل العام تماما.

آخر هذه الأسباب والمبررات ما قدمه هو شخصيا.. بإعلانه الصريح عن عدم رضائه عن انتشار ظاهرة الحجاب بين النساء المصريات، حتى إنه سمى ذلك انكفاء وردة إلى الوراء!

والوزير بتصريحه الفج هذا يقدم فى الحقيقة ثلاثة أسباب - لا سببا واحدا - لرحيله عن كرسى الوزارة.

أولها: إنه يعترض على حكم الله ورسوله صراحة، فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز:

«وليضربن بخمرهن على جيوبهن..» وقال «يدنين عليهن من جلابيبهن».. وقال عز وجل «ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن..» - الآية.

وليس معقولا ولا مقبولا شرعا ولا عقلا ان يظل هذا الرجل وزيرا فى بلد غالبتيه العظمى من المؤمنين بالله ورسوله.

الثانى: إن هذا الوزير يعترف بأنه فكرا وثقافة وفهما وتصورا فى واد وغالبية الشعب فى واد آخر. فبأى حق يبقى مثل هذا الرجل فى موقع المسئولية؟!

إن الوزير مطالب ادبيا بأن يترك الوزارة بنفسه مستقبلا حتى لو كان يظن بأنه على صواب فى رفضه الحجاب وأن المحجبات وأزواجهن وآبائهن على خطأ.

إنه يعترف إذن بفشله كوزير للثقافة بعد عشرين عاما ظل فيها ملتصقا بالكرسى.. وهو يعترف أيضا بأنه والشعب المصرى على طرفى نقيض.

فبأى حق يبقى بعد ذلك وزيرا للثقافة؟!

الثالث: إن تصريحه هذا جاء فجا مفتقرا لأى حس سياسى او ذوق اجتماعى من المفترض أن يتحلى به متوسطو الثقافة، فما بالكم بوزير يدعى أنه وزير للثقافة.

هذه الأسباب وغيرها مما لا نريد ذكره الآن تمثل مبررات قوية لأن ينزلق هذا الرجل باختياره عن الكرسى قبل ان ينزلق به الكرسى!

وعموما أيها الوزير سواء رحلت أم بقيت.. فسوف يزداد مع الأيام غيظك وغيظ أمثالك.. وصدق الله العظيم «قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور»

الجماعة الإسلامية مصر

بيان مركز القاهرة لحقوق الإنسان
لا لمحاكم التفتيش

تابع مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ببالغ القلق أسلوب تعاطى عدد كبير من أعضاء مجلس الشعب المصرى والإخوان المسلمين والمستقلين، مع تصريحات فاروق حسنى وزير الثقافة حول ارتداء النساء المسلمات للحجاب، والتى انطوت على توجه قمعى مخيف تجاه حرية الرأى والتعبير، ومحاولة لتوظيف الدين كأداة فى هذا المجال

وإحياء لمحاكم التفتيش فى الضمائر التى عرفتها أوروبا فى القرون الوسطى والعالم الإسلامى فى عهود أخرى، ويستلفت النظر مدى حماس نواب الإخوان فى هذا الاتجاه، وهى حماسة لم نشهدها من قبل فى قضايا أكثر خطورة وأهمية كالتعديلات الدستورية وتفشى الفساد الذى أودى بحياة آلاف المصريين فى قطار الصعيد ومحرقة بنى سويف وعبارة السلام ٩٨ وقطار دمنهور وغيرها، وأخيراً وليس آخراً ذلك الإعتداء الجماعى المنظم منذ أسابيع معدودة على كرامة النساء المصريات - بما فيهن المحجبات من خلال جرائم التحرش الجنسى الجماعى فى يوم العيد «الأسود».

إذ يؤكد مركز القاهرة على إيمانه المطلق بأن اعتناق الأفكار والتعبير عنها حق لكل مواطن، فإنه يرفض بشدة تشكيل محاكم للتفتيش فى الضمائر، وإصدار أحكام التكفير وإرهاب صاحب الرأى المخالف أيا كان موقعه الوظيفى أو رأيه أو دينه أو جنسه، كما يؤكد المركز من ناحية أخرى على أن حق النساء فى ارتداء الحجاب أو النقاب أو غيره مسألة شخصية ترجع لقناعات كل إنسان الدينية والاجتماعية والثقافية.

وأخيرا يطالب المركز بضرورة فتح حوار معمق ومسئول حول ما حدث فى يوم العيد - الأسود - ودلالاته ومناقشة نقدية لدور أجهزة الدولة فى حماية المواطن - نساء ورجال - من أى انتهاكات قد تؤثر على تمتعه بكرامته بما فى ذلك العنف الجسدى ضد النساء، وأعمال الإرهاب الفكرى التى تشكل مقدمة منطقية للإرهاب الدموى على النحو الذى عرفته مصر باغتيال المفكر فرج فودة ومحاولة اغتيال الأديب نجيب محفوظ ووضع عدد مَن المفكرين والكتاب تحت الحراسة الأمنية حتى الآن.

بيان المثقفين

لقد دأبت قوى سياسية بذاتها التحدث باسم الدين باعتبارها وصية على الإسلام ومحتكرة استنباط الأحكام الشرعية، وفى محاولة لتحقيق أغراضها السياسية راحت تبحث عن معارك وهمية مستغلة حديثاً خاصا للفنان فاروق حسنى وزير الثقافة قامت بنشره إحدى الصحف لم يخرج عن كونه مجرد رأى شخصى فى قضية لا تمثل جوهر الدين وأهدافه.

لكن هذه القوى استغلت القضية فى محاولة لفرض سطوتها وممارسة إرهابها الفكرى، متجاهلة رصيداً ضخماً من التاريخ المصرى، لم تكن قضية الحجاب هى جوهر القضايا، وإنما كان الفكر والحوار هما لغة الخطاب تعبيرا عن روح الإسلام وفلسفته الرائعة، التى عليت بجوهر الأشياء فى سمو جعل الدين علاقة خاصة بين الإنسان وربه دون ادعاء.

إن الموقعين على هذا البيان باعتبارهم فى طليعة القوى الاجتماعية والثقافية يشعرون بالقلق أمام تلك الهجمة التى تستهدف تحقيق أغراض سياسية مستغلة الدين، مما ينذر بشيوع مناخ من الإرهاب الفكرى، يعوق حرية الرأى وينذر بمخاطر تهدد الوطن وتحول دون أن يتبوأ العقل مكانته اللائقة.

،الله والوطن من وراء القصد والسبيل.

مثقفو الإسكندرية:

نرفض محاكم التفتيش..

يرى الموقعون على هذا البيان أن الأزمات المتكررة التى يثيرها بعض جماعات الإسلام السياسى كلما قال أحد رأيا مخالفا لهم أو طرح تصورات مختلفة عنهم، إنما هى أزمات خطيرة يجب أن نتساند جميعا فى مواجهة صانعيها، وضد ما يهدفون إليه، إن تلك الجماعات تسلك هذا السلوك ساعية إلى أهداف سياسية واضحة قائمة على امتلاك المجتمع وانتزاع الدولة، وهى تفعل ذلك رافعة خطابا أو قناعا دينيا زائفا يهدد الجوهرى فى الدين ذاته. لأن ما هو جوهرى فى الدين مبنى على الحرية والتسامح والاجتهاد، وحين يحولون العقيدة إلى مؤسسة تصادر وتقمع وتنفى فإنما يقوضون دعائم دين حضارى فضلا عن تقويض الأسس التى انبتت عليها مشاريع النهضة المصرية، وهم فى كل ذلك يفتعلون تصارعا وهميا بين العقيدة وحرية التعبير فى قضايا خلافية، بطبيعتها لا تمس الأصول ولا الثوابت فلم يكن الحجاب يوما من اصول العقيدة، ولم يكن أبدا من ثوابت المجتمع، وهم يسعون إلى تحويله إلى قضية حزبية وكأن الهوية غطاء رأس، والثوابت حجاب على شعر المراة، إن هذه الأزمات المتكررة بطرق متشابهة وبشكل دورى تنم عن تخطيط منتظم يسعى إلى إشاعة فقه المصادرة والتحريم، بحيث تصبح حرية التعبير خروجا عن الإجماع وحق التفكير نشوزا عن الجماعة وتسود

بالتالى محاكم التفتيش وتعلو منصاتها الدموية ويدخل الوطن إلى كهف التخلف والجمود، وتصبح هبة العقل مصادرة لحساب شيوخ الفتنة وفقهاء المماليك الجدد، إن ما حدث أمس بمجلس الشعب يعد يوما تاريخيا.

لأن التحالف المتولد من هذه الأزمة المصطنعة بين نواب الأغلبية المزعومة والجماعات المحظورة يدل على عمق التحالف بين الفساد والأصولية.، فإن يتعانق نواب الأغلبية مع نواب جماعة محظورة متفقين اخيرا وفقط على مصادرة حرية التعبير وحق الاختلاف. فإن الوطن كله يصبح مشهدا فى عرض عبثى، إن الموقعين على هذا البيان يناصرون المثقف ويناصرون حقه فى التفكير والتعبير ليس باعتباره مسئولا أو وزيرا، وإنما باعتباره مواطنا من حقه أن يكفر وأن يعبر عن رأيه دون مصادرة او إرهاب فكرى أو محاكم تفتيش، وهم يستندون فى ذلك إلى قول مأثور لفقيه عالم حين قال:

رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب فأحتمال الصواب فى كل فكرة وارد واحتمال الخطأ فى كل رأى قائم، ولن تنهض الأمة إلا بالحرية والعقل والأختلاف والتعدد، وهى قيم ليست متعارضة مع الدين وأن تعارضت مع بعض فقهائه وساسته الفاسدين.

أصمد فى موقعك يا وزير الثقافة

د. فؤاد زكريا

سيكون يوما أسود فى تاريخ الفكر المصرى لو اضطر وزير الثقافة للاستقالة نتيجة الحملة الظالمة التى تشن عليه فى هذه الأيام. هذه الحملة تثير اعتراضين على تصريحات ادلى بها الوزير فى صحيفة معينة: الاعتراض الأول: هو ملاحظة أبداها عن أصوات المؤذنين.. وهنا لابد ان ندرك ان المؤذنين بشر يمكن أن تكون أصواتهم جميلة أو قبيحة ، وهذا أمر يلاحظه كثير من الناس الذين يعتبرون أصوات بعض المؤذنين منفرة.

فالأمر كله يرجع إلى هؤلاء المؤذنين لا يختارون بناء على اختبار لحسن أصواتهم، وكثيرا ما يحتلون مواقعهم بطريقة عشوائية.. فمن الواجب التمييز بين الاعتراض على أصوات المؤذنين وبين محتوى الأذان نفسه الذى ينطوى على قداسة خاصة من حيث هو

دعوة للمسلمين إلى الصلاة.. وهذه القداسة لا تسرى بأى حال على الأصوات البشرية التى تؤدى هذا الأذان.

اما الاعتراض الثانى: فيتعلق بقول الوزير عن الحجاب بأنه ردة.. وهذا القول يعتمد على حقيقة تاريخية لايشك فيها احد.. فمن المعروف أن المرأة المصرية قد خلعت الحجاب وتحرزت منه فى أوائل القرن العشرين بعد الحركة النسائية التى قادتها هدى شعراوى وظلت طوال الجزء الأكبر من القرن العشرين لا تعترف بالحجاب.. فإذا جاءت فى القرن الحادى والعشرين وعادت إلى ارتداء الحجاب فمن المعقول أن يوصف هذا بأنه ردة.

وإذا دخلنا فى مضمون موضوع الحجاب فإننا نلاحظ أن الآية الكريمة التى تنص على الحجاب تختم بعبارة تقول: «ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين» وهذه العبارة الأخيرة التى يغفلها كل دعاة الحجاب عن عمد تعد شرحا وبيانا للحكمة من الجزء الذى يسبقها فى الآية والخاص بنوع الحجاب المطلوب.

فقد كانت الجوارى فى ذلك العصر يسرن فى الطرقات بملابس غير محتشمة فيتعرضن للتحرش والإيذاء.. فإذا حاكتهن الحرائر من النساء المؤمنات كانت النتيجة هى الخلط بينهن وبين الجوارى وتعرضهن لهذا الإيذاء بدورهن.. وعلى ذلك فإن الآية الكريمة تدعو المؤمنات الحرائر إلى أن يتميزن فى الملبس عن الجوارى. فالمسألة كلها تمييز فى المظهر بين الحرائر والجوارى، أى أنها مرتبطة بأوضاع اجتماعية معينة كانت سائدة فى عصر سابق.ولما كنا نعيش الآن فى عصر اختفت فيه الجوارى منذ عهد بعيد فإن هذا التمييز لم يعد واردا.

وهكذا يتضح ان المسألة خلافية إلى ابعد حد، وعلى ذلك فإن الوزير لا يكون قد اخطأ فى حق الإسلام إذا أبدى فى هذه المسألة الخلافية رأيا يختلف عن الرأى التقليدى.

وأخيراً فإننى أود أن اقول لمن اثاروا هذه العاصفة:

اتقوا الله فى وطنكم فنحن لا نعيش فى جزيرة منعزلة، وإنما نعيش فى عالم منفتح وهناك قوى وجهات كثيرة تترصد لنا أى هفوة لكى تشن علينا حملات عنيفة تتهمنا بالرجعية والتخلف وتستغل أمراً كهذا لكى تشوه صورتنا أمام الآخرين.

ونصيحتى للوزير هى أن يصمد فى موقعه ولا يكترث بهذه الحملات التى يشنها عليه أناس يريدون تحويل وزارة الثقافة إلى حلقة ذكر.. وأن يتجنب قدر استطاعته الخوض فى هذه المسائل الحساسة لأنه وزير كفء ونشيط ولديه من المشاغل الواقعة فى نطاق اختصاصه ما يكفيه وزيادة.

ردا على بيان المثقفين العلمانيين

٣٠٠ عالم ومثقف إسلامى يطالبون بإقالة فاروق حسنى

فى رد تأخر نحو أسبوع، أصدرت مجموعة من المثقفين والعلماء الإسلاميين والأكاديميين والصحفيين والمحامين، بيانا مضادا للبيان الشهير الذى أصدره المثقفون المصريون للتنديد بحملة الهجوم على فاروق حسنى بسبب قضية الحجاب. وإذا كان ظاهر البيان الذى يصل عدد الموقعين عليه إلى نحو ٣٠٠ شخصية يطالب بإقالة فاروق حسنى من منصبه على أثر تصريحاته المسيئة. فإن باطنه حمل نقداً لاذعا للمثقفين الذى ناصروه، إذ اتهمهم البيان بأنهم يحتكرون لأنفسهم وصف «المثقفين» ويخلطون ما بين حرية التعبير، والتعدى على حدود الأمة وثوابتها ومقدساتها ووجه المثقفون الإسلاميون فى بيانهم نداء للمثقفين العلمانيين لكى يكفوا عما وصفوه بالتحرش بحرمات الله وشرائعه، والبيان باختصار شديد يعيد من جديد المواجهة بين المتدينين والعلمانيين فى الساحة السياسية والثقافية المصرية. وجاء فى نص البيان ما يلى:

فى مرحلة دقيقة من تاريخ امتنا، تتعرض فيها لهجمة عدوانية غربية ذات وجه عسكرى استعمارى وآخر ثقافى، صدم الشعب المصرى بتصريحات شائنة صدرت من وزير الثقافة المصرى، تهجم فيها على فريضة الحجاب وتهكم على العلماء والدعاة معتبرا أياهم سببا فيما أدعاه بـ «العودة إلى الوراء» من خلال الدعوة لارتداء الحجاب وقد جاءت هذه التصريحات متزامنة مع حملة شبه عالمية منظمة على الحجاب وغيره من شعائر الإسلام، وهو ما آثار الارتياب فى بواعثها وأهدافها بخاصة أنها صدرت عن شخص يحتل منصبا منوطا به تمثيل ثقافة الشعب الذى ينتمى إليه والحفاظ على قيمه وثوابته الدينية والوطنية.

ولهذا فإن الموقعين على هذا البيان يرون ما يلى:

١ - إن تلك التصريحات من وزير الثقافة تعد اعتداء على ثقافة وهوية الأمة المصرية، لكونها تحط من شأن فريضة محكمة مجمع عليها فى الإسلام الذى رضيته دينا، ونصت فى دستورها على انه دين الدولة والشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع، ولهذا فهى تصريحات مدانة بكل المقاييس الشرعية والقانونية والدستورية.

٢- إنه لا يمكن وضع تلك التصريحات التى اطلقها الوزير - وهو ما يزال فى منصبه - فى خانة الحرية الشخصية المكفولة له ولغيره إبداء الرأى، لأن حرية الرأى المعتبرة

مشروطة بالحفاظ على ثوابت الأمة والحدود الشرعية وعدم الأدراء بالغير وبخاصة العلم والعلماء.

٣ - إن طلب الوزير من الشعب المصرى ممثلا فى نوابه أن يرد له اعتباره ويقدم له اعتذاره هو مزيد من الاستخفاف بهذا الشعب وبمقدساته، ومزيد من الحجر على حقه فى مراقبة ومحاسبة من يتخطون حدود المسئولية.

٤ - إن غضبة الشعب المصرى بعامته وخاصته والتى يعبر عنها هذا البيان لا تعنى اختزال دعوة الإصلاح الإسلامية فى الحجاب فهو جزء من كل مطالب الإصلاح العام المستمد من ثقافتنا الإسلامية، وكذلك فإن التصدى لحملات التطاول على الثوابت والحرمات فى الداخل لا يعنى التغافل عن حملات العدوان فى الخارج فحرمات الأمة كلها خطوط حمراء، أرضها وأعراضها ودماؤها وأغلى ذلك وأعلاه دينها وشرعها.

ويرى الموقعون على البيان أن المشكلة المثارة بسبب الحجاب لم تؤججها رد فعل الشعب المصرى الغيور وإنما أججتها هذه التصريحات ذاتها وما صاحبها من تداعيات كنا فى غنى عنها ونحن نعيش ظروفا دولية وإقليمية ومحلية فارقة كانت تتطلب من الجميع الاصطفاف لمواجهتها بدلا من افتعال الخلاف فى قضية الحجاب التى هى ليست موضع جدل فى مصر.

ولكل ما سبق فإننا نطالب بما يلى:

أولا: إقالة الوزير لما أحدثته تصريحاته المسيئة للحجاب والعلماء، وبسبب استنكافه عن الاعتذار لجموع الشعب الغاضبة من عباراته واتهاماته المرسلة لغالبية الشعب المصرى، وعجزه عن الوفاء لهذا الشعب من خلال منصبه بما يحفظ له ثقافته وقيمه، ولتعاطيه السلبى مع الأزمة بالاعتكاف بعيدا فى منزله وتركه محله بالوزارة شاغرا بحجة الإحباط ونائه عن مواجهة نواب مجلس الشعب.

ثانيا: عدم إغلاق هذا الملف دون معالجة حيث نرى أن إغلاقه دون اكتراث بمشاعر الأمة يمثل خطأ جسيما قد لا تحمد عقباه، وسيقضى إلى مزيد من الاحتقان والغضب وسيخلق أزمة ثقة بين أبناء الوطن الواحد.

ثالثا: يجدر بالمتورطين فى التوقيع على البيان المساند للوزير فى خطئه ممن احتكروا وصف المثقفين، أن يفكوا الارتباط المتوهم بين حرية التعبير، والتعدى على حدود الأمة وثوابتها والنيل من مقدساتها ويكفوا عن التحرش بحرمات الله وشرائعه وقيم الأمة

وأخلاقها، ونهيب فى الوقت نفسه بالشرفاء من أصحاب الأقلام والمنابر ووسائل التعبير ان يمارسوا حقهم فى الرد على الطابور الثقافى الخامس.

ومن ابرز الموقعين على البيان: الشيخ حافظ سلامة زعيم المقاومة الشعبية أثناء حرب اكتوبر والدكتور عبد العظيم المطعنى والدكتور عبد الحى فرحات المنجى، والدكتورة عبلة الكحلاوى وممدوح الولى أمين صندوق نقابة الصحفيين وكمال حبيب المفكر الإسلامى، والدكتور محمد عباس الذى اثار ازمة «الوليمة» عام ٢٠٠٠ وجمال سلطان الكاتب الإسلامى وحازم أبو إسماعيل عضو مجلس نقابة المحامين، والدكتور محمد مورو رئيس تحرير «المختار الإسلامى»، ومحمود سلطان رئيس تحرير موقع «المصريون»، ومنتصر الزيات المحامى، ويوسف صقر المحامى، وعصام حنفى رسام الكاريكاتير، وفراج إسماعيل الصحفى، ومحمود عبد الشافى المحامى، والدكتور مجدى قرقر امين عام مساعد حزب العمل، ومجدى حسين أمين حزب العمل ومختار نوح رئيس الرابطة الدولية للمحامين المهتمين بالقوانين الإسلامية، وممدوح إسماعيل المحامى وعبد الجليل الشرنوبى الصحفى.

إخوان الحزب الوطنى الديمقراطى

د. عبد المنعم سعيد

إذا أردت الزواج فإنك لا تذهب إلى البنك وإنما إلى المأذون وإذا رغبت فى العبادة فإنك لا تذهب إلى المسرح وإنما إلى الجامع أو الكنيسة، وإذا نويت التعلم فإنك لا تذهب إلى المطعم وإنما إلى المدرسة أو الجامعة..

والخلاصة هى أن لكل مؤسسة فى المجتمع وظيفتها، ولا ينبغى الخلط بين الوظائف والمؤسسات، وإلا اضطربت أحوال الدولة وعجز المواطنون عن فهم ما يجرى فيها ، وجريا على هذا المنطق فإن وظيفة مجلس الشعب هى الرقابة والتشريع، أما الإفتاء فى أمور الدين فهو وظيفة مؤسسات أخرى خولها المجتمع هذه المهمة منها دار الإفتاء، ومنها الأزهر الشريف ومعه بالنسبة للمسيحيين الكنيسة المصرية فى كل مذهب.

وعندما قام مجلس الشعب بالتداول حول التصريحات المنسوبة للسيد فاروق حسنى وزير الثقافة فيما يخص مسألة «الحجاب» لم يكن أمامه مشروع بقانون حول منع «الحجاب» من المؤسسات العامة مثلا، ولا كان أمامه قانون بمنع غير المحجبات من ممارسة الوظائف العامة أو السير فى الطريق العام، ولم يكن أمام المجلس «الموقر» بيان أو خطة أو سياسة لوزير الثقافة تمثل تحبيذا أو تثبيطا للبس الحجاب، وإنما كان أمامه عبارة عابرة لوزير الثقافة أوضح فيها رأيه فى مسألة الحجاب، وكان بوسع جميع أعضاء المجلس - إذا أرادوا - أن يدلوا بتصريحات مماثلة للصحف سواء اتفقت أو اختلفت مع الوزير، أو يتركوا الأمر لوسائل الإعلام لكى تتحاور وتتناقش فيه وهى بطبيعتها - فى ظل الفضائيات القائمة - كثيرة ومتنوعة، ولكن ما جرى كان جلسة كاملة من المجلس النيابى تبارى فيها الأعضاء من الحزب الوطنى الديمقراطى ومن جماعة الإخوان المسلمين - المحظورة قانونا والمشروعة واقعا - فى إدانة الوزير وتصريحاته وفى المزايدة على من هو الأكثر إسلاما والتزاما بالدين الحنيف من الطرف الآخر، وبينما كان رأى الوزير تعبيرا عن نوعية من التفضيل حول زى شائع، فإن أعضاء مجلس الشعب من الحزب المشروع اتفقوا مع الجماعة المحظورة من مساسها بالدين الإسلامى نفسه، ولم ينس واحد من الأعضاء التنويه بأنها تمس الأمن القومى المصرى، هكذا مرة واحدة بينما كان الوزير قابعا فى منزله لا يملك شيئا من أدوات التهديد سوى كلمة وقلم وريشة وفرشة رسم!

وانقلبت الدنيا على عقب، وأصبح البرلمان المصرى فجأة دار للإفتاء، وتبارى الجمع الذى توحدت صفوفه بين الحكومة والمعارضة فى التفسير للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وعندما امتد الأمر إلى أجهزة الإعلام، كان الاستحضار كاملا لمخالفات دستورية تقرب الوزير من الخيانة العظمى، فقد تم اختزال المادة الثانية من الدستور فورا لكى تعنى ضرورة الحجاب للمرأة حتى صار غيابه معصية ومخالفة دستورية صحيحة، وزاد على ذلك من زاد متهما المخالفين - وفى مقدمتهم الوزير بالطبع - بالدعوة للانحلال والفحشاء.

وبغض النظر عما جرى من تشويه وإدعاءات لا أساس لها فى كلمات الوزير المنشورة على لسانه، فإن ما جرى فى مجلس الشعب كان كاشفا عن حقائق سياسية كبرى يقع فى مقدمتها أن المسافة ما بين أعضاء فى الحزب الحاكم وأعضاء فى الجماعة «المحظورة»

ليست بالاتساع الذى يتصوره كثيرون وعلى الجانبين يوجد استعداد كبيرللتسابق على اتخاذ الدين وسيلة للهجوم السياسى، أو استخدامه للمزايدة السياسية من خلال الفهم القاصر للدستور فما جاء فى المادة الثانية من الدستور لم يكن يحمل دعوة للبس الحجاب أو لخلعه شكل الحجاب وما يتضمنه على امتداد العالم الإسلامى كله لن يجد صيغة واحدة تحدده وما جرى فى مصر خلال العقود الماضية كان استعارة من الدول الإسلامية الأخرى فى الخليج أو فى وسط آسيا أو بالعودة إلى العصور العثمانية للتقليد والاتباع.

ولكن ما جرى فى مجلس الشعب يصلح معملا لمشاهدة أحوال المجتمع وتوجهاته المستقبلية، فالواضح إن المادة الثانية من الدستور على صورتها الحالية يجرى استخدامها كما لو كانت تعنى ليس مبادئ الشريعة الإسلامية، وإنما الدين الإسلامى ذاته، وقد صار مجسدا ومفسرا على يد جماعات سياسية، وعند النظر فى قضية بعينها مثل الحجاب هذه المرة فإنها ليست موضوعا للتداول بين ممثلى الشعب الذى هو مصدر السلطات، كما تنص المادة الثالثة للدستور، وإنما هى موضوع لتفسير القواعد التى جرى رسمها سلفا فى النصوص التى تم تفسيرها بسماحة أحيانا وتعسف فى كثير من الأحيان وباختصار فإن مهمة المجلس التشريعى وأعضائه ليست التشريع أو الرقابة، وإنما الإفتاء فى تطبيق النص على الحالة الموصوفة.

وبالتأكيد فإن الأخذ بهذا الاتجاه فيه تعسف كبير فى فهم وتطبيق المادة الثانية من الدستور وهى المادة التى صارت جماعة الإخوان المسلمين ،المحظورة والمشروعة معا، تستخدمها بحيث تلغى بقية الدستور بمواده التى تتعدى المائتين وبعد أن تلغى بقية مواد الدستور وخاصة المادة الثالثة التى تجعل الشعب وحده وليس جماعة الإخوان المسلمين مصدرا للسلطات، والمواد الخاصة بالحريات الشخصية والعامة التى من بينها اختيار الزى الفاضل والجميل، فإن الجماعة تنقلب لكى تجعل الحياة السياسية تنفيذا لنصوص دينية تنتفى معها الدولة المدنية بما فيها حق الأفراد فى تحديد الزى المناسب دون تحرر فاضح أو تزمت مقنع، أو حق الأفراد فى إبداء الرأى فى قضايا تخص الذوق العام أو الفضائل العامة.

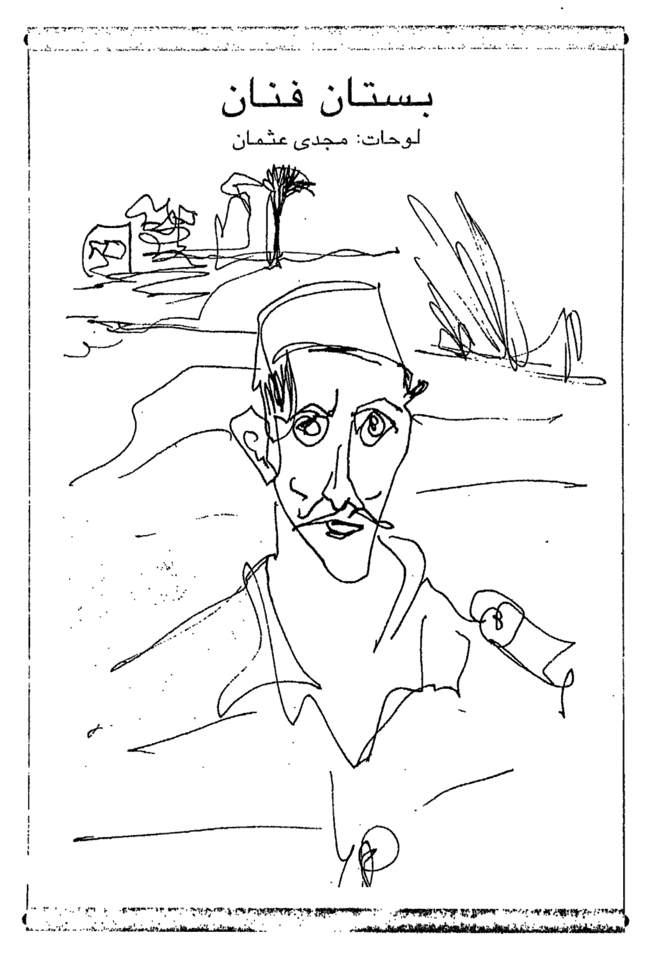
ولكن ربما كان الأمر كله أعمق مما ترى، ومعبرا عن تيارات لا تريد لعملية إعادة تشكيل النظام السياسى المصرى أن تحط على شواطئ ديمقراطية، وإنما تستقر على خطوط

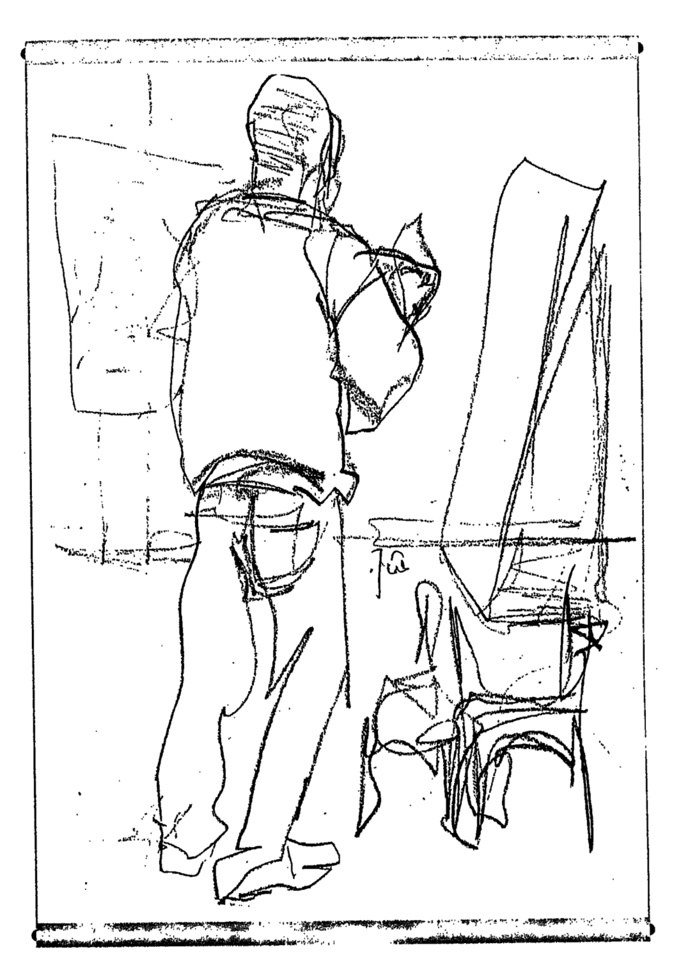
شمولية فالمجتمعات الديمقراطية فى العموم هى مجتمعات باحثة عن التنوع والتعدد، ليس فقط فى التيارات السياسية والاقتصادية وإنما أيضا فى الأذواق العامة، وفى المجتمعات غير الديمقراطية فإن المطلوب دوما هو إيجاد حالة من القولبة الاجتماعية التى يتماثل فيها الناس بل ويصبحون طبعات منسوخة من بعضها بعضا تحت رايات دينية أو أيدلوجية وربما كانت الصين الشعبية إبان «الثورة الثقافية» حينما لبس الرجال والنساء زيا واحدا وموحدا، وأفغانستان تحت حكم طالبان حيث أطال الرجال اللحى لأطوال معلومة حددها النظام ولبس فيها النساء الحجاب القريب من النقاب، هما الأمثلة النقية لحالة الاستنساخ غير الإنسانية التى جرت للأفراد ذكورا وإناثا.

ولعل ذلك يفسر هذه الحالة من الهياج العصبى المصاحب لقضايا «الحجاب» و«النقاب» والذى يأخذ منها إنسانيتها باعتبارها موضوعا للاختيار والرأى، ويحولها فى الظاهر دائما إلى اختبار للإيمان والفضيلة.، بينما هى فى حقيقتها سعى دءوب لقولبة المجتمع فى انماط سابقة التجهين وقد يبدو هذا الموضع حالة فرعية وهامشا على عملية إعادة تشكيل النظام السياسى ممثلا فى التعديلات الدستورية المنتظرة ولكنها فى حقيقتها ليست كذلك فهى حالة تمثل الإطار العام والمناخ الذى يجرى فى ظله التغيير، واذا كان وزير الثقافة لا يستطيع إبداء رأى فى قضية تتعلق بالأزياء المناسبة للفضيلة والجمال، ويجرى تصيد ما قال من كلمات وتحويله إلى عملية مزايدة على الدين من قبل أعضاء فى حزبه وأعضاء آخرين فى الجماعة المعارضة فليس متوقعا أن تكون التعديلات الدستورية مناسبة للآمال والطموحات التى كانت معقودة عليها، وإذا كانت هناك جماعة فى مصر تمتلك الحقيقة كلها، ولديها القدرة عند طرح كل قضية على تحويلها إلى قضية دينية ■

بستان فنان

لوحات: مجدى عثمان

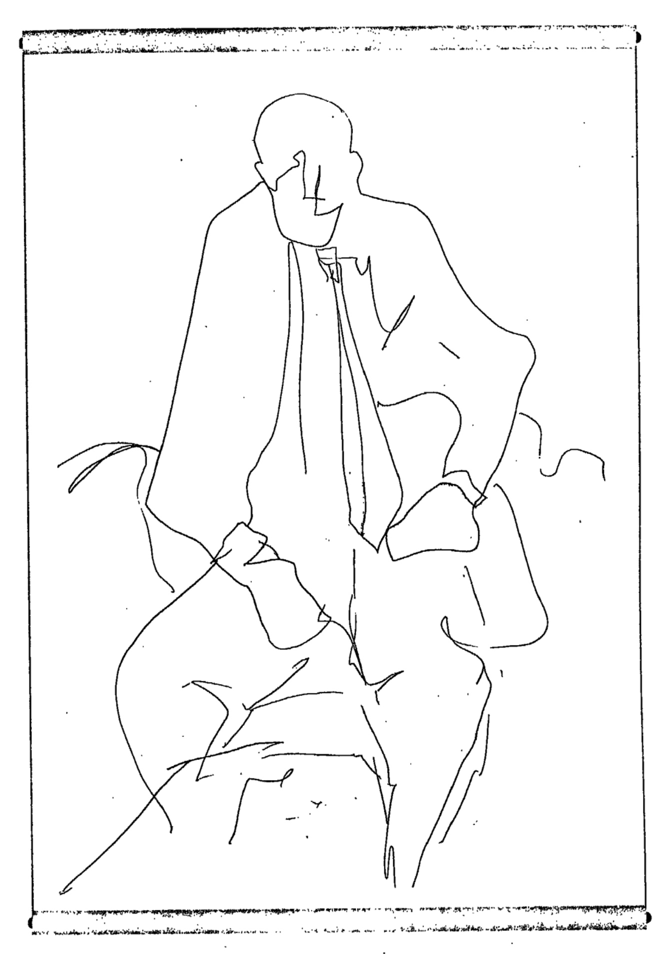




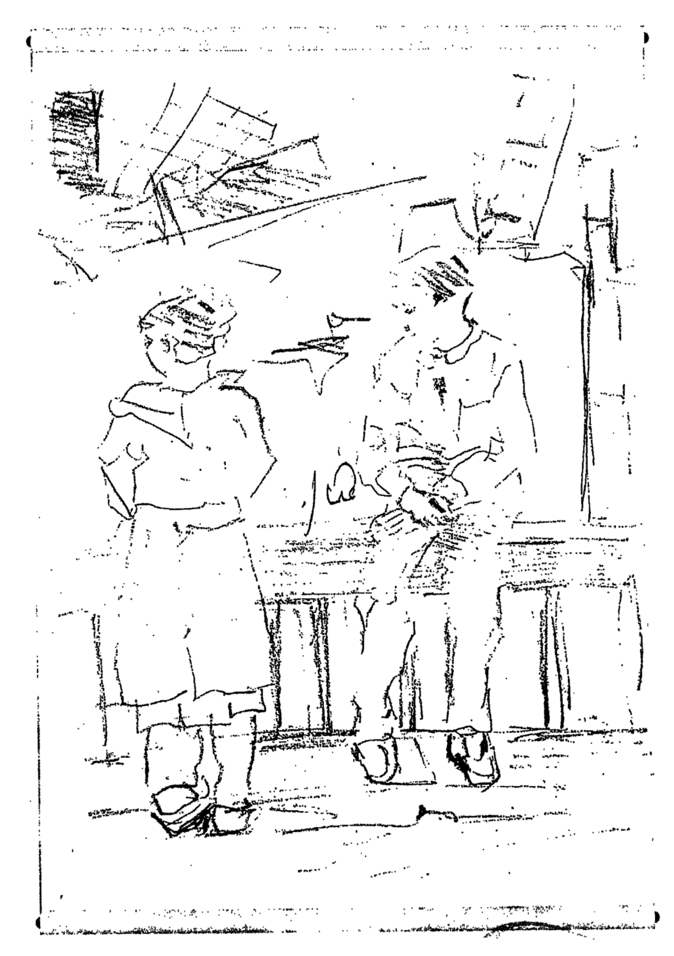


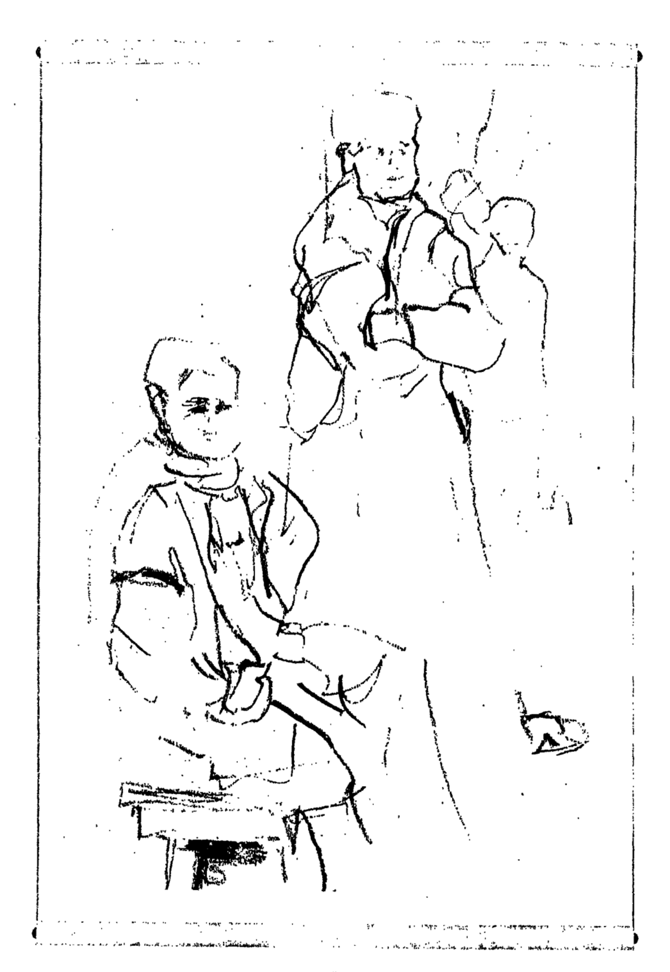














شئون

محمد براهيم عقدة

-١-

لثالث مرة

يقف بينى وبين النافذة عدمٌ له رائحة الزعتر والشيح

لثالث مرة

يدخل الصيف سكراناً، دون أن يرانى،

يتمدد على سرير الصحراء.

يطفئ قمراً سميناً مكتنزاً

فيم طائرٌ كان على قبر أبى

... يفتح دفتر الصباح

.. ويمزق صفحة المرح

-٢-

تموز العجوز ارتدى قميص الموت

المطرز بالنرجس السام، والعنبر الزنيم

تموز الكفيف ظن مشرحة القتلى

بيتاً للعاشقين

ابتلت ثيابه - تموز الأحمق - حين تقلب النهر

فى منامه
يسألنى تموز الغبى
- هل هذا الذى يسيل على جبهتى بفعل عصافير زقت
أم بفعل رصاصة استقرت فى الجمجمة

-٣-

لنفترض أن حديقة كانت هنا
وأن زهرات الخلود كان يجمعها طفل جميل يسمى الموت
وأن شعر المدينة أبيض تماما بفعل القذائف
وأن - أيضا - رماننا الأسود قد تكدس خلف
نافذة من يسميه المثقفون «الدكتاتور العجوز»
فلماذا إذن كلما مر غزال غافل مرح،
سرقوا منه المرج وجعلوه يمشى على الزجاج المكسور
والأسلاك السائلة.
ولماذا.. أنا هنا تحديداً.. أتصفح دفتر العدم
سكرانا.. كان.. هذا العصفور
والأفق منديل كفيف
فهل دخل النرجس الخليع فجأة دكاكين الوراقين؟
وهل قميص الصخر قد خاطه الصيف
ليلبسه الخريف

نص

حدث فى مقام «السيكا»

السيد السعداوى

كان جالسا على مقعد البيانو.. منتصبا كحرف الألف فى المفتتح

اندهشت من اتساع الفم وامتداده من الأذن إلى الأذن

بهرتنى أسنانه بياضها الشاهق وانتظامها الفريد

وبرغم صمت النهاية الحزين كدت اسمع الضحكة المجلجلة

حينما نظرت إلى النوتة الموسيقية المعلقة فى صدر البيانو

واليدان تلامسان الأصابع البيضاء والسوداء الناعمة بشغف بالغ.. انتشبت بلحنه المدهش الجميل

هو لم يفاق مقام «السيكا» قط

تساءلت بدهشة عارمة:

كيف يموت الإنسان فى مقام الفرح؟!



شهداء لبنان

سمير إبراهيم

• أدان وجرس فى صوت واحد

بينادوا إلهنا يا ناس واحد

لو ايد فى الأيد قوتنا تزيد

دا مصيرنا يا ناس مصير واحد

• شهداء لبنان جوه قلوبنا

أسامى ومكتوبة على دروينا

لو على الرأى الواحد وقفنا

ولا حدها يقدر يغلبنا

• شهداء بيموتوا ولا تهتموا

مت يالا بقى يا خلق إلتموا

إيه اللى باقلكم وتفوقوا

دا الطفل شهيد فى حضن امه

• ها نقف للظلم سلاح بسلاح

نستنى الموت ونتيجته نجاح

لبنان ها تسعنى ها تبقى براح

شهداء لبنان جوا قلوبنا

• سكاكين الحرب رحايه دايرة

وادينا طويلة ومش طايلة

والله بكره تدور الدايرة

وعلينا الدور بدموع سايلة

● ايه تانى بعد جولان وجنوب

بكره الظلم يكون له غروب

موت ودمار وعلينا مكتوب

وليه النسيان لجتوب لبنان

● الحق لازم له القوة يا ناس

كفاية موت ورقاب تنداس

ولا حتى ضمير ولا فيه إحساس

شهداء لبنان جوه قلوبنا

●●●

كلنا لبنان

مش فارقة مين فى شمال وجنوب

الكل ليه من الظلم يدوق

واللى جرا لنا دا من النسيان

كلنا لبنان

مصرى وعراقى تونس ودمشق

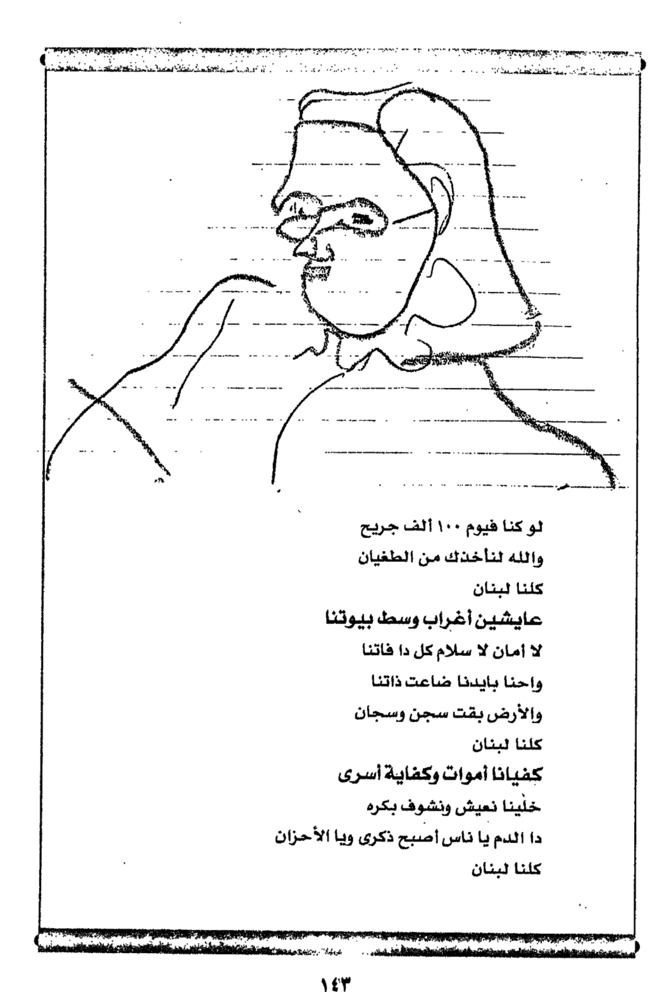
الكل بيعشق لترابه عشق

واحنا أكيد بالأرض أحق من العدوان

كلنا لبنان

إحنا لأعدائنا تراب فى الريح

لا لينا قرار ولا رأى صحيح



لو كنا فيوم ١٠٠ ألف جريح

والله لنأخذك من الطغيان

كلنا لبنان

عايشين أغراب وسط بيوتنا

لا أمان لا سلام كل دا فاتنا

واحنا بايدنا ضاعت ذاتنا

والأرض بقت سجن وسجان

كلنا لبنان

كفيانا أموات وكفاية أسرى

خلينا نعيش ونشوف بكره

دا الدم يا ناس أصبح ذكرى ويا الأحزان

كلنا لبنان



الشاعر والباشا

كان الشاعر الكبير - على محمود طه ١٩٠٢-١٩٤٩، واحدا من أهم زعماء المدرسة الشعرية الرومانتيكية فى الشعر العربى المعاصر، وقد بدأ نجم على محمود طه يسطع منذ ثلاثينيات القرن الماضى، وذلك بعد أن أصدر ديوانه الأول «الملاح التائه» سنة ١٩٣٤، وكان الشاعر عند صدور هذا الديوان مهندسا متواضعا فى وزارة الأشغال، وفى تلك الفترة وقعت له هذه الحادثة التى يرويها صديقه الشاعر صالح جودت فيقول: «لقد أخذت الشاعر فرحته بالديوان الأول، فأراد أن يبهر به عيون رؤسائه حتى يعرفوا أنه إذا كان أقل منهم وزنا فى الوظيفة فهو يفوقهم أو يساويهم على الأقل، بوزنه الأدبى، وذهب الشاعر ليهدى نسخة من «الملاح التائه» إلى وكيل الوزارة، وهو يومئذ المرحوم حسين سرى باشا، وكان مشهورا بالجمود والغطرسة، ولم يجده، فترك له نسخة الديوان على مكتبه. وبعد ساعة جاء وكيل الوزارة ووجد كتاباً على مكتبه، فسأل سكرتيره:

ما هذا الكتاب؟

- إنه ديوان شعر من نظم مهندس فى الوزارة اسمه على محمود طه.

فتقطب وجه الوكيل، حسين سرى باشا، وقال لسكرتيره:

- استدع هذا المهندس

وجاء على محمود طه متهللا، ظناً منه انه سوف يحصل على ترقية أو علاوة أو كلمة شكر على الأقل.

ولكن حسين سرى لم يكد يرى الشاعر حتى ازداد تجهما، وصاح فيه:

-أنت يا أفندى اللى عملت الحواديت دى؟

قال له على محمود طه:

- هذه ليست حواديت.. هذا شعر!

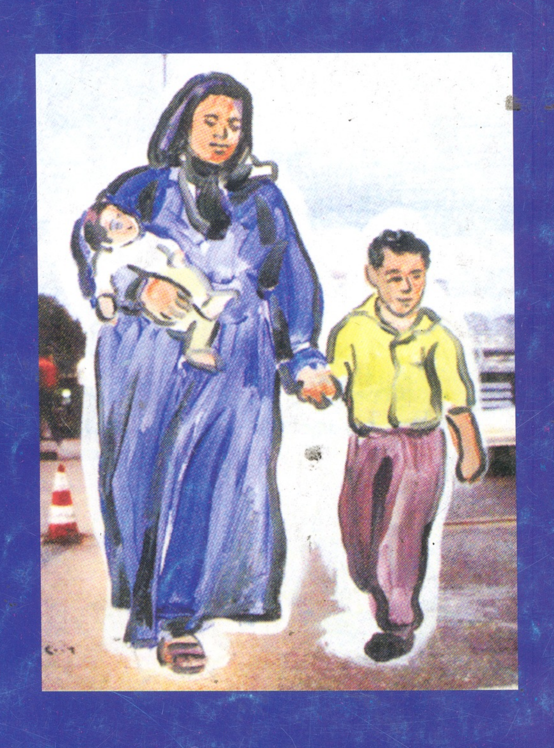
فازداد حسين سرى غضبا، وطوح بالديوان بعيدا، وصاح فى وجه الشاعر:

- روح يا أفندى مكتبك. «وشوف شغلك وبطل الكلام الفارغ ده»

ذلك ما رواه الشاعر صالح جودت عن تلك الواقعة التى تعرض لها الشاعر على محمود طه فى بداية حياته الأدبية، وبعدها خرج الشاعر من وزارة الأشغال التى يعمل بها وهو عازم على أن يترك عمله فيها، رغم أنه لا يملك مصدر رزق سوى وظيفته، ولكن الشاعر كان متألما من وصف حسين سرى باشا لشعره بأنه كلام فارغ، فقد كان فى هذا الرأى السخيف صدمة موجعة للشاعر. ولحسن الحظ فقد كان هناك من يحبون الشاعر ويقدرون له موهبته الفنية العالية، وكان من بين هؤلاء المحبين سياسى كبير من أعضاء حزب الوفد هو عبد السلام فهمى جمعة باشا، فبسط حمايته على الشاعر وقربه منه حتى جعله مديراً لمكتبه عندما أصبح رئيسا لمجلس النواب، وفى ظل هذه الرعاية وصل الشاعر الكبير إلى «الدرجة الأولى» التى كان لها شأن فى ذلك الزمان، وأصبح الشاعر من كبار الموظفين، فاطمأنت نفسه وواصل إنتاجه الشعرى الخصب، وأصبح واحدا من كبار الشعراء فى الأدب العربى قديما وحديثا، ولكنه ظل إلى النهاية يتذكر تلك اللحظة القاسية التى قال له فيها حسين سرى باشا وهو يطوح بديوانه بعيداً

«ما هذا الكلام الفارغ؟ شوف شغلك يا أفندى»■

رجاء النقاش



الأمل للطباعة والنشر رقم الإيداع ٧٥١٢ / ٩٢ «الثمن: ٣ جنيهات»